السبت 6 نيسان 2024
العدد 5172 السنة الثامنة عشرة
Samedi 6 Avril 2024 no 5172 18ème année

24 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

نادي القلم الأميركي في مهبّ الطوفان

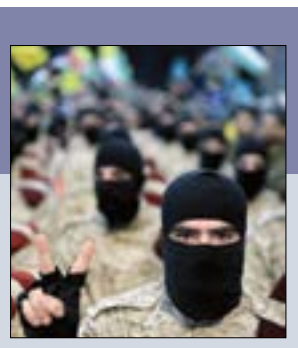

نصرالله: تجهّزوا للنصر

حماقة قصف القنصلية تفتح باباً للفرج والحسم
لن نقبل بعمل «كاريش» فيما لبنان تحت رحمة شركات النفط

إسرائيل تحت الضغط

(أ ف ب)

تقرير

انهيار الهوية البصرية للمصارف **لا ربطات عنق بعد الآن**

4

تقرير

انتخابات «المهندسين» **تخمة تحالفات عونية وشحّ قواتي**

6

تركيا

محاولة فاشلة للتلاعب بالانتخابات **إردوغان يقرّ: غزة هزمتنا**

14

قضية اليوم

نصرالله: تجهّزوا للنصر

حماقة قصف القنصلية تفتح باباً للفرج والحسم
لن نقبل بعمله «كاريش» فيما لبنان تحت رحمة شركات النفط

بهدوء واطمئنان، حرص الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله على تبديد أوهام المشكّكين في الرد الإيراني على الاعتداء الذي تعرّضت له القنصلية الإيرانية في دمشق. ومن موقع العارف بالخفايا، حسم بأن «الرد آت لا محالة»، وذهب إلى ما هو أبعد، مسلّطاً الضوء على مرحلة ما بعد الرد الإيراني، وخيارات العدو التي ستحدد مسار التطورات، داعياً إلى أن تتحضّر كل الجهات، في إشارة إلى مروحة من السيناريوهات التي يمكن أن تنتجه إليها المنطقة، من ضمنها إمكانية التصعيد الذي ستكون له تداعيات على مجمل الوضع في المنطقة وعلى مستقبل الحرب الدائرة.

ورغم استبعاده إمكانية شن العدو حرباً على لبنان، أكد نصرالله أن

العدو سيندم على أي حرب ضد لبنان والسلاح الاساسي لم نستخدمه بعد

«المقاومة في لبنان لا تخشى حرباً وهي على أتم الجاهزية، وإذا أرادوا الحرب نقول لهم يا هلا ويا مرحب»، وتوعّد العدو بأنه «سيندم» على أي حرب، وهو موقف أصبح التأكيد عليه أكثر إلحاحاً في ضوء المرحلة الجديدة التي دخلتها المعركة الإقليمية بعد قصف القنصلية الإيرانية الذي وصفه بـ«الحدث المفصلي» في رسم ملامح الوضع الإقليمي، مؤكداً أن «الحماقة التي ارتكبها نتنياهو في القنصلية الإيرانية ستفتح باباً للفرج ولحسم المعركة». ومنعاً للالتباس بين ما تشهده معركة الجنوب وسيناريو الحرب الواسعة، لفت نصرالله إلى أن «السلاح الأساسي لم نستخدمه بعد»، مشيراً إلى أن «المقاومة أدارت معركتها في الأشهر الستة الماضية «ضمن رؤية واستراتيجية تهدفان إلى تحقيق النصر وحماية لبنان». وشدّد على «أن هذه المعركة سنصل فيها إلى النصر، ومن يقول إن هذه المعركة ستصل إلى هزيمة عليهم إعادة حساباتهم. محور المقاومة ذاهب إلى انتصار تاريخي وكبير».

وفي الاحتفال المركزي الذي أقامه حزب الله، أمس، لمناسبة يوم القدس العالمي في مجمع سيد الشهداء في الضاحية الجنوبية، لفت نصرالله إلى ما ينتظر لبنان من استحقاقات بعد هذه الحرب التي «سيعود نفعها على كل لبنان، وإنجازات النصر أمنياً وبرياً وبحرياً وسياسياً ستعود بركاته على كل لبنان وكل الشعب اللبناني». كما كانت لافتة إشارته إلى إعادة فتح ملف النفط والغاز في البحر، وبأن المقاومة لن تقبل بالوضع القائم حالياً حيث يواصل العدو استخراج الغاز من كاريش فيما يقع لبنان تحت رحمة الشركات العالمية.

وقال نصرالله إن «التهديد بالحرب الشاملة على لبنان لم يؤدّ إلى وقف الجبهة، والضغوطات كلها لم تغيّر من موقفنا، فالجبهة في لبنان مستمرة ومرتبطة بغزّة»، مؤكداً أن «المقاومين على الحدود والجبهة الأمامية جاهزون لأي رد فعل». وأضاف «لا تبالوا بالتافهين، ونقول للعدو والصديق وللجميع إن المقاومة في لبنان لا تخشى حرباً ولا تخاف من الحرب... والعدو يعرف ما الذي تعنيه الحرب مع لبنان».

وأشار نصرالله إلى أن «أحد أسباب شن الحروب على إيران والعداء لها هو موقفها تجاه إسرائيل والقدس والمقاومة الفلسطينية وتقديمها تضحيات جساماً في سبيل هذا الموقف. وإيران كانت ولا تزال سنداً حقيقياً لكلّ من يقاتل هذا الاحتلال، ويقاوم في فلسطين ولبنان والمنطقة، وبدعمها غيّرت الكثير من المعادلات وأسقطت الكثير من مشاريع الهيمنة، وساهمت في انتصارات المقاومة في لبنان وفلسطين والمنطقة».

واعتبر أن «هناك من هو غير قادر على تقبّل هزيمة إسرائيل في المنطقة (...) ونسمع عن سخافة أن كلّ ما يجري في المنطقة هو مسرحية أميركية - إيرانية وتوزيع أدوار»، مؤكداً أن إيران «لا تفاوض على الملفات الإقليمية مع الأميركيين»، و«المقاومين الذين يسندون ظهرهم إلى إيران، يجب أن يكونوا مطمئنين، لأنّ إيران لا يمكن أن تبيع أو تتخلّى عن أصدقائها والمظلومين في المنطقة». وأضاف: «بالنّسبة لنا ولكلّ مقاوم شريف، فإنّ العلاقة مع إيران والتّحالف معها هما عنوان الشّرف والفخر والكرامة الإنسانيّة في هذا الزمان. ومن يجب أن يخجل هو من يطبّع مع إسرائيل ويقيم العلاقات معها ويدافع عنها ويسوّغ ويبرّر لها جرائمها، ومن يقيم علاقات صداقة مع أميركا».

ووصف نصرالله «طوفان الأقصى» بأنه «مفصل تاريخي في منطقتنا. نحن أمام حدث جعل بقاء إسرائيل في دائرة الخطر وكشف هشاشتها وضعفها لولا أن تداركها الشيطان الأكبر». ولفت إلى أن «الحرب التي بدأت على غزة هي حرب من فقد عقله، وهذا من أسباب فشلها، وبعد 6 أشهر من الحرب ما زال نتنياهو وغالانت وآخرون في الكيان فاقدين لعقولهم».

خمسة شهداء

ميدانياً، واصل حزب الله منذ الساعات الأولى لفجر أمس ضرب مواقع وثكنات وتجمّعات جنود العدو الإسرائيلي على طول الحدود مع فلسطين المحتلة. فاستهدف تحركاً لجنود العدو وآلياته في موقع المالكية، وآلية عسكرية عند بوابة موقع المطلة بصاروخ موجّه «أصابها إصابة مباشرة، ما أدى إلى تدميرها وإيقاع طاقمها بين قتيل وجريح». ونهاراً، استهدف الحزب التجهيزات التجسسية في ثكنة زرعيت وموقعَي حدب بارون والسماقة، وانتشاراً لجنود العدو في محيط موقع المنارة ومجموعة لجنود الاحتلال في مبنى في مستعمرة أدميت.

ونعى حزب الله الشهيدين علي ناصر عبد علي من بلدة عيتيت، وبلال حيدر حلّال من بلدة قانا في جنوب لبنان. فيما نعت حركة أمل الشهداء موسى عبد الكريم الموسوي من بلدة النبي شيت في البقاع، ومحمد داوود شبّ من بلدة كفركلا ومحمد علي وهبي من بلدة الخيام.

وفي إطار الإجراءات الإسرائيلية المستمرة لمحاولة «التطبيع» مع الوضع القائم في الجبهة الشمالية بفعل عمليات المقاومة، ذكرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أن وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية وافقت على إنشاء مجمع تعليمي للطلاب الذين تمّ إجلاؤهم من مستوطنة شلومي بسبب احتمال عدم بدء العام الدراسي واستمرار أوامر الإخلاء حتى بعد شهر أيلول. وكشفت قناة «كان» العبرية أن عدد النازحين من الجليل الشرقي بلغ 40,291 مستوطناً، 39% منهم يقيمون في الفنادق.

من العرض في مناسبة يوم القدس امس (هيثم الموسوي)

تقرير

«الخطر» على اليونيفيل: التهديد هو إسرائيل

فراس الشوفي

ستة أشهر مرّت على اندلاع المعارك في فلسطين ولبنان، ومآزق الحضور والدور يتعمّق بالنسبة إلى القوات الدولية العاملة في جنوب الليطاني. ليس سهلاً على قوات «حفظ سلام» أن تقوم بمهامها الرسمية، وسط احتمالات التدحرج وتبادل الضربات المستمر بين المقاومة وجيش الاحتلال الذي لا يترك قاعدةً من قواعد الحرب والقانون الدولي إلا ويخرقها.

ومع أن حركة الدوريات والتنقّل للقوة الدولية، عادت تقريباً إلى ما كانت عليه قبل 7 أكتوبر بعد انخفاض شديد للحركة خلال الأشهر الأولى من الحرب. إلّا أن عناصر القوة الدولية، يمضون ساعات طويلة بشكل شبه يومي في المخابئ والملاجئ، ولا سيّما حين يشتدّ القصف الإسرائيلي.

هذا التحدّي، وعدم وضوح أفق وقف إطلاق النار في غزّة وتالياً في لبنان، وضع القوّة الدولية أمام ضرورة التحضير والإعداد لمختلف السيناريوات بخطط متعددة: سيناريو الانسحاب الاضطراري في حال اندلاع حرب واسعة (وهو ما تستبعده قيادة اليونيفيل حتى الآن، لكنها تأخذه في الحسبان)، خيار الصمود والحياد لتمرير الوقت باقل الخسائر الممكنة ثم العودة إلى العمل بعد الحرب، أو خيار الصبر وتعزيز الحضور في اليوم التالي للحرب إلى جانب الجيش اللبناني. والسيناريو الأخير، هو المعمول به حالياً، وربّما هذا ما يفسّر الحركة النشطة الجديدة للجيش في جنوب الليطاني ورغم عدم تغيّر الظروف على الأرض.

لكن كل هذه السيناريوات تواجه خطراً أساسياً، وهو النيات العدوانية والارتكابات التي يقوم بها العدو الإسرائيلي تجاه المنظمات الدولية والهيئات الأممية والمدنية من غزة إلى لبنان. واليونيفيل ليست بعيدةً عن هذا الخطر، رغم الخدمات التي تقدمها بعض الكتائب والأفراد العاملين فيها للعدو الإسرائيلي، في المجال الأمني والاستعلامي ضد المقاومة.

فتحتّ حادثةُ انفجار لغم أو عبوة بالمراقبين الدوليين قرب بلدة رميش قبل أيام، الباب أمام الاجتهادات والتحليلات عن خلفيات الحادث، مع محاولات واضحة من بعض القوى السياسية المعادية للمقاومة في الداخل اللبناني لتحميل المقاومة مسؤولية الحادث، فيما يستمر التحقيق الدولي واللبناني من دون تحديد قطعي للجهة المالكة للمتفجرة أو اللغم. وفي كل الأحوال، فإن غالبية المعنيين بالأمر، لا يعوّلون على قدرة التقرير الفني عن نوع التفجير والمواد المستخدمة، على تقديم أدلّة كافية لاتهام أحد الطرفين، المقاومة أو العدوّ الإسرائيلي، طالما أن الطرفين يملكان موادّ يصنّعها الطرف الآخر لأنظمة القصف الجوي ضد السفن. وأبرز الأمثلة على ذلك، التهديد الذي تعرّضت له السفينة الحربية الإندونيسية قبل أشهر قبالة الناقورة، وعلى مدى يومين، بتهديد مباشر من طائرتَي أف 15 إسرائيلية بإغلاق أنظمة الصواريخ على السفينة، ما عرّض حياة عشرات البحارة للخطر الشديد. وهذه الحادثة كشفت عنها العدو الإسرائيلي، وهو ما أكّدته بشكل واضح «الورقة الفرنسية» قبل شهرين، إذ إن النقطة الثانية في المرحلة الثانية من الاقتراح الذي تقدّم به الفرنسيون إلى بيروت وتل أبيب لوقف إطلاق النار في الجنوب تتضمّن الطلب من إسرائيل التعهّد بوقف تهديداتها الخطيرة للسفن الحربية التابعة لليونيفيل، ولا سيّما ما تقوم به الطائرات المقاتلة من إغلاق لأنظمة القصف الجوي ضد السفن. وأبرز الأمثلة على ذلك، التهديد الذي تعرّضت له السفينة الحربية الإندونيسية قبل أشهر قبالة الناقورة، وعلى مدى يومين، بتهديد مباشر من طائرتَي أف 15 إسرائيلية بإغلاق أنظمة الصواريخ على السفينة، ما عرّض حياة عشرات البحارة للخطر الشديد. وهذه الحادثة كشفت عنها «الأخبار» أوّلاً، قبل أن يذكرها التقرير بشكل أوضح «الورقة الفرنسية» قبل شهرين، إذ إن النقطة الثانية في المرحلة الثانية من الاقتراح الذي تقدّم به الفرنسيون إلى بيروت وتل أبيب لوقف إطلاق النار في الجنوب تتضمّن الطلب من إسرائيل التعهّد بوقف تهديداتها الخطيرة للسفن الحربية التابعة لليونيفيل، ولا سيّما ما تقوم به الطائرات المقاتلة من إغلاق لأنظمة القصف الجوي ضد السفن. غالبية المطّلعين على الملفّ، يعتبرون أن ما حدث خطأ سببه خروج فريق المراقبين عن إجراءات السلامة المعتادة وغياب التنسيق الفاعل مع القوى المعنيّة على الأرض، على ما يؤكّد مصدر استخباري غربي لـ«الأخبار». إلّا أن ذلك لا يلغي التهديدات الملموسة التي تتعرض لها اليونيفيل من قبل للأجندة السياسية الأميركية التي تبحث عن دور أوسع لليونيفيل والجيش ما بعد الحرب، وهو الأمر الذي أشارت إليه ورقة المبعوث الأميركي عاموس هوكشتين بصيغة ملتبسة.

وبحسب معلومات «الأخبار»، فإن الاعتداءات على الجيش تجاوزت الـ 100 على مقارّ ومواقع وحواجز مع تكثّف شديد تمارسه المؤسسة العسكرية على ما تتعرّض له. وبحسب المعلومات المتداولة، فإن التهديد الإسرائيلي للجيش وصل إلى حدّ استهداف موكب لكبار الضبّاط من الجيش قرب بلدة بليدا بالأسلحة الرشاشة الثقيلة من مواقع العدوّ أثناء قيامهم بجولة لتفقّد المواقع العسكرية، ومن بين المستهدفين كان قائد قطاع جنوب الليطاني.

في الواجهة

السفيرة الاميركية: انتخاب الرئيس في وقت ليس بعيداً
الجرّة مكسورة بين لودريان وهوكشتين

ينتظر سفراء الدول الخمس امرار عطلة الاعياد ليعاودوا جولات اجتماعاتهم بالافرقاء لدفع الاستحقاق نحو مزيد من الواقعية والنتائج الملموسة. لا تحكس التوقعات في الغالب الامال. فكيف عندما يكثر الطباخون فيما الطنجرة فارغة؟

نقولا ناصيف

بين الموفدَين الخاصَّين الفرنسي جان ايف لودريان والاميركي عاموس هوكشتين عداوة كار اسمها لبنان. كلتا ادارتَي بلديْهما تقاربان ملف انتخاب رئيس للجمهورية على نحو مشابه: موجود في الاليزيه لا في وزارة الخارجية عند الفرنسيين، وفي مجلس الامن القومي التابع لنائب الرئيس لا في وزارة الخارجية عند الاميركيين. القاسم المشترك الآخر بينهما حضّهما على انتخاب الرئيس في اسرع وقت، كي يرعى في مرحلة ما بعد وقف النار في غزة ترتيبات الاستقرار في الجنوب.

كلا الرجلَيْن ايضاً، لودريان وهوكشتين، تمرّسا في السنوات الاخيرة في التجربة اللبنانية: الاول كوزير للخارجية اكثر بداية على الاهتمام قبل انفجار مرفأ بيروت وبعده على الحضّ على اجراء اصلاحات بنيوية في النظامين الاقتصادي والنقدي اللبناني، والثاني بصفة مستشار للطاقة رافق المراحل الاخيرة في مفاوضات الترسيم البحري اللبناني - الاسرائيلي ونجح في انجازه. كلاهما يتنافسان الآن على سبل اخراج انتخاب الرئيس من مأزقه كي يفوز بالانجاز.

الفارق الرئيس بينهما، وهو احد ماخذ الموفد الفرنسي، ان لودريان يواجب عمل الدول الخمس فيما يميل هوكشتين الى الاستئثار بالدور، متخذاً من مفاوضات الترسيم البحري قياساً امكن اختبار نجاحه قبلاً، ويتوخى تعميمه مجدداً. ما ينقل عن لودريان وتؤكده مصادر ديبلوماسية فرنسية في معرض دفاعها عن مهمته، ملاحظات ثلاث: اولاها، ان الدخول المفاجىء لهوكشتين على ملف انتخاب الرئيس اربك بادئ بدء الفرنسيين أنفسهم. لم يعودوا يعرفون محاورهم الاميركي فيه: هوكشتين، ام السفيرة في بيروت ليزا جونسون عضو اللجنة الخماسية، ام مساعدة وزير الخارجية لشؤون الشرق الادنى باربرا ليف اول من قارب الملف في الاشهر الاولى للشغور في آذار 2023 لدى زيارتها بيروت؟ ما تورده المصادر الديبلوماسية الفرنسية يتقاطع مع ما سمعه نواب مسيحيون اجتمعوا اخيراً بالسفيرة الاميركية اظهرت امامهم جدية عمل الدول الخمس، قاصرة المهمة عليها. جزمت جونسون امامهم بانتخاب الرئيس «في وقت ليس بعيداً. هذه السنة».

يتكامل في المقابل دورا لودريان مع السفير في بيروت هيرفيه ماغرو مع هامش اوسع للاول بصفته موفداً خاصاً للرئيس، يدلي بما لا يُشعره بالحذر والاحراج الديبلوماسي على نحو ما سمعه منه محدثوه اللبنانيون اخيراً في باريس، معبّراً عن امتعاض الاليزيه اكثر منها ما يملك الكي دورسيه قوله وكذلك السفير: «السياسيون المسيحيون لاسيما منهم الموارنة غير قادرين على الاتفاق على مرشح، وهو احد اسباب عدم انتخاب الرئيس حتى هذا الوقت». لاحظ ايضاً ان «لا ثقة ولا جدية في التعامل مع الانتخاب مقدار التركيز على التناقضات بين السياسيين الموارنة»، مأرباً بمحطة سابقة هي تمديد ولاية قائد الجيش العماد جوزف عون. قال لودريان: «لم يحظ التمديد له بتوافق ماروني كامل ونجم عن مشاورات واتصالات طويلة متعبة». اما المهم في ما كشف عنه في اجتماعه الاخير في بيروت «مع الجناح السياسي لحزب الله فهو عدم انخراطه الجدي في انتخاب الرئيس جراء انشغاله بالوضع على الحدود مع اسرائيل»، قبل ان يضيف: «المشكلة ان اللبنانيين لا يرون اسرائيل جدية في رغبتها في دخول الحرب رغم تهديداتها اليومية المتواصلة».

> **ياخذ لودريان على هوكشتين تطفله في الاستحقاق الرئاسي المعهود الى مجموعة الدول الخمس**

واعلانها عدم قبولها بالعودة الى الوضع الذي كان سائداً في السنوات المنصرمة».

ثانيتها، تطفّل الموفد الاميركي على ملف هو في عهدة الدول الخمس بما فيها الولايات المتحدة وفرنسا، شتت الادوار واعطب التوقعات. ما ينقل عن لودريان ان هوكشتين يتجاوز عمل جونسون في الملف اللبناني بما في ذلك الاستحقاق الرئاسي: «ما ان تتفق الدول الخمس على موقف، يصدر عنه آخر معاكس محاولاً اظهار نفسه مفاوضاً صعباً ومتمرساً ذا ثقة مفرطة بالنفس بعد نجاحه في اتفاق الترسيم البحري».

يضيف لودريان: «سهّل الاتفاق اللبناني - الاسرائيلي على الترسيم رغبة الاطراف جميعاً في تبادل المنافع والمصالح الاقتصادية، خلافاً للمتوقع ان ينجم عن مقاربة الحدود البرية التي تكتفي بضمان الامن والاستقرار بلا أي منافع اقتصادية».

ثالثتها، تأكيد الموفد الفرنسي دوره في موازاة الدول الخمس بتنسيق كامل معها. قبل اقل من شهرين زار القاهرة، ابان الحديث عن احتمال رفع اجتماع الدول الخمس من مستوى السفراء والمستشارين الى وزراء الخارجية. ذكّر ان المحاولة الاولى عقد الاجتماع في بيروت فتعذر، ثم في الدوحة فتعذر ايضاً، ثم في الرياض فتعذر للمرة الثالثة. طلب لودريان مقابلة الرئيس عبدالفتاح السيسي الذي تجمعه به علاقة شخصية سابقة مذ كانا معاً وزيرين للدفاع في بلديهما في وقت متزامن. اخفق في الاجتماع به لضيق وقت رئيس الدولة، فاجتمع بوزير الخارجية سامح شكري وفاتحه في استضافة مصر اجتماع الوزراء الخمسة فلم يلقَ ترحيباً.

في ما يفصح عنه لودريان امام شخصيات لبنانية اجتمع بها في باريس، هو الاشتراكي المخضرم الذي لا يخظم الانتقاد الدائم للاميركيين، تذمره من تطفل هوكشتاين في ملف لم يُعهد اليه به، هو انتخاب الرئيس اللبناني. المرة الاولى اتى هوكشتين على ذكر الاستحقاق الرئاسي في زيارته الاخيرة لبيروت في آذار الفائت عندما ربط بين ترتيبات اعادة الاستقرار الى الجنوب ووجود سلطات دستورية متكاملة، متحدثاً عندئذ عن ضرورة انتخاب رئيس للجمهورية يتولى التنفيذ. كانت تلك المحطة الاولى والوحيدة، في بيروت، يلمح الى اهتمامه بالاستحقاق ما اشاع انطباعاً بأيكاله الملف. في الزيارة الاخيرة اعاد هوكشتين استخدام الاغراء نفسه عشية الوصول الى اتفاق الترسيم البحري: من دون تطرقه الى تنفيذ القرار 1701 كاملاً ولا الى النقاط الحدودية ومزارع شبعا، طلب اجراء ترتيبات امنية محدودة في الجنوب تقضي بانسحاب حزب الله سبعة كيلومترات من الخط الازرق في مقابل حصول لبنان على مساعدات ودعم لاعادة اعمار قرى الجنوب، دونما ان يعيّن مصدرها.

(هيثم الموسوي)

تقرير

انهيار الهويّة البصريّة للمصارف
لا ربطات عنق بعد الآن

فؤاد يزبي

86%
التراجع في استيراد «الياخ». إذ تشير إحصاءات الجمارك اللبنانية إلى أن مجموع قيمة الياخ المستوردة في عام 2019 كان يبلغ 328 ألف دولار، بينما انخفضت قيمة المستوردات إلى 44 ألف دولار في 2022

فجأة، لم تعد ربطات العنق رائجة بين موظفي المصارف، ولا حتى بين رجال الأعمال. فمع انهيار القطاع المصرفي، الذي كان القناة شبه الوحيدة لتدفّق الثروة وتسهيل السطو عليها، توقفت إدارات المصارف عن التشدّد في ضبط «زياء العمل» التي كانت تفرض ارتداء «بدلة رسمية» وربطة عنق. قد يُعزى الأمر إلى نيات أصحاب المصارف لصرف القسم الأكبر من الموظفين، أو لأنها تدرك أن رواتبهم تدنّت إلى مستويات تبرّر الإنتاجية المنخفضة بسبب الإفلاس. لا ضرورة للتشدّد طالما أن ربطات العنق إلى جانب ما يسمّى «البدلات الرسمية» كانت ضرورية يوم كان المصرف يتعامل مع الزبائن ويقدّم قروضاً ويستقبل ودائع. كانت هناك أفكار رائجة، بمعزل عن حقيقتها الفعلية، أن لباس الموظّف لا يكون «مرتّباً» إلا وفق قواعد الأسواق المالية العالمية التي تفرض ارتداء ربطة عنق. ومن الأفكار الرائجة، أن الزبائن الأثرياء يميلون أكثر إلى التعامل مع موظفين يرتدون ربطات عنق، وأن هذا اللباس يحمل ظهوراً أقوى أمام الزبائن من الطبقة المتوسطة والفقيرة انسجاماً مع نظرة المصارف الدونية لهذه الشرائح.

كانت هناك مظاهر واضحة للمعالم تترجم نموذج الاقتصاد القائم على القطاع المصرفي. دوره حيوي في استمرارية النموذج وأركانه السياسية. يقوم على استقطاب الثروات من الخارج، وإعادة إقراضها في الداخل، وهو مسؤول عن تمويل حركة استهلاكية هائلة بلغت 19,9 مليار دولار في 2018 لبلد لا يزيد إنتاجه الكلّي في ذلك الوقت على 55 مليار دولار. لكن حين أتى الانهيار في عام 2019، فوجئ الجميع بأن المصارف سرقت أموال المودعين، وأن إفلاسها غير المعلن أدّى إلى انهيار نموذج الاقتصاد السياسي كلّه، ومعه انهيار الليرة وتقلّص حجم الاقتصاد وتفكّك المؤسسات العامة. كان الترابط قوياً بين إدارة النموذج ومحركاته. هكذا وجدت المصارف نفسها أمام تبدّلات جوهرية. لم تعد هي محور دوران الاقتصاد، بل صارت محور الاتهامات بالسطو والسرقة. لم يعد بإمكانها ممارسة أي نوع من العمل، باستثناء إدارة النزاعات مع الزبائن، سواء المودعون المطالبون بأموالهم أو المقترضون الذين يسعون إلى تسديد قروضهم بأدنى سعر. انعكس الأمر على موظفي المصارف الذين كانت تفرض عليهم «أناقة» معيّنة. كانوا يشغلون وظيفة يتمناها الجميع بمزاياها، لكنهم أصبحوا في واجهة النزاعات... هكذا خلعوا ربطات العنق التي كانت إلزامية. صحيح أن المصارف كانت تتصدّر مسار هذه «الموضة» بواسطة ربطات العنق، إنما النمط الاقتصادي كلّه كان قائماً على المسار نفسه. ينطبق الأمر على شركات التأمين والمحاماة والتجارة والخدمات... فمع الانهيار فجأة، اختفت البدلة من المشهد وحلّ محلّها لباس «سبور». لم يعد مستغرباً حضور العاملين في الاجتماعات المصارف ومديري الشركات التجارية والخدماتية على نوع البدلة الرسمية والاسم التجاري للمحل الذي يبيع منتجات «مميّزة» مستوردة من الباب الأول التي يتجاوز سعر بعضها بضعة آلاف من الدولارات وربما أكثر. إلى جانب البدلة وربطة العنق، كانت هناك محال تجارية مخصصة لأحذية جلدية «فاخرة» الأكثر ندرةً ولا يرتديها موظفو المصارف، بل كبار المديرين وأصحاب المصارف. عملياً، كان هناك شريحة مفروض عليها ارتداء «أزياء العمل الموحّدة» بالتوازي مع شريحة تختار الزيّ نفسه بمواصفات «الرفاهية» و«الترف».

> «أناقة» موظفي المصارف تحوّلت وفق نمط تحوّل علاقتها مع الزبائن

أما اليوم، فيمكن القول إنّ ربطة العنق التي رافقت النموذج الاقتصادي اللبناني على حافة الانقراض. صورة المصرف وشركات الأعمال والأموال الذي زاد عمره على 10 سنوات لم يصل إلى لبنان إلا مع تهاوي نادي المصارف والأموال في 2019. قبلها، كان التنافس ظاهراً بين كبار مديري المصارف لشراكتهم بـ«الجينز». بل يكاد يكون لبس البدلة وربطة العنق أمراً مستهجناً في يوم عمل عادي. يروي أحد الموظفين في شركة عالمية، أنه سئل من مديره عن سبب ارتداء بدلة رسمية في اجتماعات: «المدير التنفيذي للشركة يحضر الاجتماعات بثياب عادية. هل كان لديك موعد لمقابلة عمل مع شركة أخرى؟».

صحيح أنه كان هناك تراند عالمي في مجال ما يسمّى «أزياء الأعمال» يقوم على التخلّي عن ربطة العنق لمصلحة نمط آخر، إلا أن هذا التراند فقدت بريقها. وخسرت ربطة العنق دورها كهوية بصرية لهذا المجال من العمل، وتحوّلت من زيٍّ رسمي إلزامي، ووسيلة عبور إلى عالم الأعمال، إلى أزياء للمناسبات العامة والخاصة. وهذا الأمر انعكس تراجعاً في مبيعات هذه السلع، إذ يؤكّد عدد من الباعة المتخصصين في هذا المجال، تراجع الطلب على شراء بدلة رسمية، وخصوصاً «البدلة اللبنانية» التي لا يزيد ثمنها على 300 دولار ولا يقلّ عن 75 دولاراً، لأن المصارف «أحجمت عن فرضها على الموظفين باعتبارها الزيّ الرسمي للعمل» يقول أحد أصحاب المحال المعروفة ببيع بدلات للطبقة الوسطى والأدنى. ويشير إلى أن حركة بيع البدلات الرسمية تقتصر اليوم على «مواسم الأفراح وحفلات التخرج في الجامعات وما يحمله المغتربون معهم من منتجات لبنانية أرخص ثمناً من مثيلاتها في الخارج»، علماً بأن سعر البدلة الرسمية المستوردة بجودة مماثلة أو أعلى، يبلغ ثمنها 400 دولار.

شباب أثرياء يفرضون ذوقهم

بمجرّد دخول أصحاب شركات التكنولوجيا الناشئة إلى نادي الأثرياء، فرض هؤلاء ذوقهم على الجميع. لا يرتدون ربطات العنق ولا البدلات الرسمية، بل مجرّد لباس «سبور» ينحو في بعض الأحيان ليكون أقل من عادي. لا يهتمّ هؤلاء بملابسهم. بل ينكبّون على عملهم بالـ«تي شرت» و«الجينز» و«الأسبدرين»... تحوّل الأمر إلى موضة عالمية. المصرفيون والمحامون يجالسون هؤلاء، ولا يجدون أي اهتمام منهم بأزياء العمل «الراقية»، فعمدوا إلى استبدالها بملابس تشبه زبائنهم الأثرياء أكثر. ورغم أن نوعية الملابس كانت تعدّ إهانة للحاضرين، إلا أن هؤلاء الأثرياء الشباب حضروا إلى اجتماعات وجالسوا رؤساء دول ووزراء وشاركوا في مؤتمرات بملابسهم العادية.

تقرير

عوامل التضخّم في لبنان: تعدّدية أسعار الصرف أولاً

تضخّم الأسعار كان إحدى النتائج الأساسية للأزمة المركّبة التي انفجرت في عام 2019. فمنذ ذلك الوقت، شهد الاقتصاد اللبناني زيادة شهرية كبيرة في الأسعار انعكست انهياراً في القدرة الشرائية، علماً أن هذه الزيادات متواصلة إلى اليوم. ولم تصدر أي تقارير رسمية تفسّر أسباب هذا التضخّم ومحرّكاته، بل بدا أن الاهتمام الرسمي به محصور بعمليات الرصد التي تصدرها إدارة الإحصاء المركزي باعتباره نتيجة تلقائية لانفجار المصارف والليرة. لكنّ منظمة «إسكوا» حاولت تحليل هذه الظاهرة وبدا عليها التشويش في قراءة المحرّكات وفي عملية قياسها. فرغم أنها رأت أن الأمر بدأ بانهيار سعر الليرة مقابل الدولار، وتحفّز بإفلاس المصارف وبتعاميم مصرف لبنان التي خلقت تعددية في أسعار الصرف الفعلية، إلا أن المؤشرات الحسابية التي اعتمدها بناءً على سعر الصرف الرسمي، أظهرت أن العجز الحكومي هو السبب الأساسي. مفارقة مستغربة لمنظمة تدّعي أنها تنفّذ دراسة علمية ثم تقول إنه يجب التعامل بحذر مع نتائجها.

35
شهرا
هو المدى الزمني للتضخّم المتواصل في لبنان، ما انعكس سلباً على قطاعات الأغذية والنقل والألبسة والإسكان والمرافق الحيوية

45,82%
هو معدّل التضخم السنوي الذي يتوقّعه تقرير الإسكوا في عام 2024. وهو يمثّل انخفاضاً في معدّل التضخّم مقارنة بعام 2023 عندما بلغ 117٪

يخلص تقرير «إسكوا» الصادر بعنوان «مسح التطورات الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة العربية 2022- 2023» إلى أن مسار التضخّم في لبنان «مثير للاهتمام»، إذ يشير التقرير إلى أنْ لا علاقة بين التضخّم واتجاهات سعر الصرف الرسمي، لكنه يذكر أن سعر الصرف الرسمي لا يعكس القيمة السوقية لليرة اللبنانية، والخفض الحاد لقيمتها بشكل رسمي. لذا، فإن النتاج التي تُبنى على النماذج الرياضية «يجب التعامل معها بشيء من الحذر»، إنما بشكل عام «ساهم الإنفاق الحكومي والتضخم المستورد وعمليات طباعة النقود بقوّة في تسارع التضخّم. وفي المقابل، يقول التقرير إن مساهمة انهيار سعر الصرف في التضخّم كانت متدنية إلى 3% مقابل ارتفاع مساهمة الإنفاق الحكومي إلى 36,9%. وبحسب النتائج أيضاً، ظهر أن أسعار الطاقة ساهمت في التضخّم بنسبة 10,2%، وأن الاستيراد ساهم بنسبة 28,2% والطلب الاستهلاكي بنسبة 11,5%.

هذه التناقضات في التقرير تعكس النتائج المضلّلة، وتظهر ما أرادت الحكومة إظهاره من خلال التأخر المقصود في الاعتراف بسعر الصرف الفعلي الذي بلغ اليوم 89500 ليرة مقابل الدولار، والتمسّك بسعر صرف اسمي بقيمة 1507,5 ليرات مقابل الدولار. وحسابات «إسكوا»، لا تأخذ في الاعتبار سعر الصرف الفعلي، ولا دعم استيراد السلع، ولا إفلاس مصرف لبنان والمصارف دفعة واحدة، ولا قرار دولرة الأسعار في السوق وتأثيره على التضخّم. لذا، ينحو التقرير نحو التركيز على العجز الحكومي كسبب أساسي للتضخّم، أي أن الحكومة عوّضت عن تدني الإيرادات من خلال طباعة العملة.

هكذا يظهر التقرير فارغاً من المعطيات الفعلية عن الأزمة وتطوّراتها. فالمالية العامة في لبنان لم تسجّل عجزاً في عامي 2021 و2022. فرغم انخفاض الإيرادات من 20,8% من الناتج المحلي الإجمالي في عام 2018 إلى 13,1% في عام 2021 و7,5% في عام 2022، إلا أنّ العجز الأولي الذي يقيس الفرق بين النفقات الفعلية والإيرادات المحقّقة، أظهر أنه تحوّل من عجز في عام 2018 بنسبة 1,2% من الناتج المحلي الإجمالي إلى فائض في عام 2021 بنسبة 1,9% وبنسبة 0,9% في عام 2022. كما أن العجز الكلّي كان 11% في عام 2018 ثم تحوّل إلى فائض إيجابي بنسبة 1% في عام 2020 وبنسبة 0,3% في عام 2022.

ما هو واضح في حسابات «إسكوا» أن حصّة التضخّم الخارجي المستورد تصل إلى الثلث، وهذا المستوى متدنّ ربطاً باعتماد لبنان على استيراد أكثر من 80% من حاجاته السلعية من الخارج. فضلاً عن اعتماد لبنان على استيراد المحروقات لتشغيل معامل الكهرباء ولتأمين تنقلات خصوصية لغالبية السكان، يفترض أن تكون مساهمته وازنة أيضاً. لكنّ المشكلة في هذه الحسابات أن التضخّم العالمي بدأ في مطلع 2022، وبالتالي يفترض أن ينعكس في هذه السنة وحدها على الأسعار المحلية، وليس في السنة السابقة.

يعترف التقرير بأن هناك تأثيراً «معقّداً» لتعاميم مصرف لبنان التي أفضت إلى العمل بأسعار صرف متعدّدة، وإلى المضاربة في سوق العملة، لكنه لا يفسّر هذه الظاهرة بكل تفاصيلها. فمصرف لبنان بدأ يطبع العملة في اليوم الأول للأزمة، ولم يكن هدفه تنقيد العجز أو تمويل العجز من خلال الطباعة، بل كان يحاول تذويب خسائر المصارف من خلال هذه العملية. في التعاميم الأولى التي أصدرها، أتاح مصرف لبنان لعدد كبير من المودعين سحب أموالهم المودعة بالليرة ضمن سقف حسابات لا يتجاوز 5 ملايين ليرة شهرياً، مضاعفة وممولة بطباعة النقد. واستمرّ يموّل المصارف والصرافين بكميات وافرة من السيولة بالليرة اللبنانية لشراء الدولارات من السوق لحسابه، وهذا الأمر لم يكن يتم لولا تعدّد أسعار الصرف الذي ترك هامشاً مقصوداً للمضاربات، أي أن الربح الذي يحقق المضارب هو دافعه للتخلّي عن الدولارات وبيعها لمصرف لبنان. فمن كان يموّل شراء كل هذه الدولارات كان مصرف لبنان. وقد جرى تشريع هذه الحالة من خلال التعميم الذي أنشأ منصّة «صيرفة» والتعميم 161. لا بل إن الزيادات في الأجور التي حصلت للقطاع العام تكاد لا تُذكر في عامي 2021 و2022، وكانت نفقات الحكومة التي يتركّز القسم الأكبر منها في الرواتب والأجور وملحقاتها ومصاريف التشغيل الأخرى، تسجّل 6,5% من الناتج المحلي الإجمالي في عام 2021 و5,7% من الناتج في عام 2022، أي أقل مما تسجّل الإيرادات.

رغم ذلك، يشير التقرير إلى أمر بالغ الأهمية في مسار الدول العربية التي عانت من تضخّم مرتفع (لبنان، مصر والسودان)، إذ يقول إن هذه البلدان تتعرض لصدمات مختلفة نتيجة لانفتاح اقتصاداتها واندماجها

> «إسكوا» تدّعي أن العجز الحكومي سبب أساسي للتضخّم لكنها ليست قادرة على إثبات ذلك

في النظام المالي العالمي. بمعنى أوضح، إن تأثيرات جائحة كورونا والاختلالات التي سبّبتها في سلاسل التوريد أصابت هذه البلدان بشكل واضح، وكذلك الحرب في أوكرانيا، ثم ارتفاع أسعار الطاقة العالمية وارتفاع أسعار الغذاء، فضلاً عن أن هذه البلدان تعاني من «سياق سياسي غير مستقر»، وضعف في المؤسسات وتعطّل في قنوات التوزيع.

وفي موازاة الحديث عن العجز الحكومي، يبدو التقرير أكثر تشتتاً عندما يقول في مقدّمة الدراسة عن التضخّم في لبنان، إنه يُعزى إلى المسار الآتي: «انخفاض هائل في قيمة الليرة، انعدام الثقة بالنظام المالي، الزيادة الكبيرة في المعروض النقدي، التأثير المعقّد لتعاميم مصرف لبنان التي أفضت إلى العمل بأسعار صرف متعدّدة وإلى المضاربة في سوق العملة. وفي الوقت نفسه أسفر انهيار إيرادات الميزانية عن انخفاض حادّ في الإنفاق العام وعن تمويل الإنفاق الحكومة تمويلاً نقدياً وهو ما أمعن في زيادة التضخّم».

(مروان بو حيدر)

متابعة

مكننة براءة الذمة في الضمان: وقف عمل السماسرة

وافق مجلس إدارة الضمان، في جلسته الأخيرة، على خطّة اللجنة الفنية في الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، لمكننة معاملات استخراج براءة الذمّة. وبحسب رئيس اللجنة الفنية، مكرم غصوب، فإن هذه الخطوة تمنع عمل السماسرة الذين استفادوا لسنوات من تعقيدات العلاقة بين أصحاب العمل ومصلحة براءة الذمة في الضمان الاجتماعي، ونتج ذلك من جمود آليات إصدار براءة الذمة ما ألقى أعباء إضافية على الشركات وأهدر وقتاً طويلاً في المراجعات.

تقسّم خطة اللجنة الفنية، طلب براءة الذمة إلى ثلاثة أنواع: براءة ذمّة لمؤسّسة مسجّلة في الصندوق، براءة ذمّة لمؤسسة غير مسجّلة، وبراءة ذمة للوحة عمومية. ينطبق على الأولى والثانية نفس المعايير مع اختلاف واحد أن الشركة غير المسجّلة ليس لديها مستخدمون، ما يعني أنها ستكون ملزمة بتعبئة تصريح عدم استخدام أي شخص خاضع للضمان. في المرحلة الأولى، يتم تقديم الطلب إلكترونياً بالتزامن مع تحميل المستندات الثبوتية الإلزامية، وتحديد هوية مستلم المعاملة المنجزة من أحد مراكز الضمان. وفي المرحلة الثانية، تتم مراجعة الطلب إلكترونياً.

وقسّمت اللجنة الفنية مواضيع براءة الذمة إلى 3 فئات: الفئة الأولى، هي المواضيع التي تتطلّب الخضوع للتفتيش مثل نقل عنوان المؤسسة أو خفض رأس مالها فيحال الملف إلى الرقابة المباشرة بعد تقديم الطلب، وبالتالي على الجهة التي تطلب براءة الذمة أخذ موعد للحضور إلى أحد مراكز الضمان وإحالة الطلب إلى التفتيش. أما الفئة الثانية، فهي المواضيع التي لا تتطلب الخضوع للتفتيش، وبالتالي يستمر صاحب العلاقة بتعقّب الملف إلكترونياً حتى إنجازه. وفي الفئة الثالثة، هناك مساران للمواضيع المتفرّقة: إحالة الملف إلى التفتيش، ومتابعة عادية. أما بالنسبة إلى مراحل تتبّع المعاملة، فقد استندت اللجنة الفنية

> وافق مجلس الإدارة على خطة اللجنة الفنية للانتقال إلى مكننة مصلحة براءة الذمّة

في تصنيفها إلى الطريقة المعتمدة في مصلحة براءة الذمة وجعلتها 5 وهي: دراسة الملف، الإحصاء، الاشتراكات، المحاسبة والبت بالملف. وفقاً لقانون الضمان الاجتماعي، تعدّ براءة الذمة بمثابة صكّ يؤكّد تسديد الاشتراكات وسائر الموجبات المالية على صاحب العمل، وهي معاملة أساسية وشرط جوهريّ ولازم تقف عنده معاملات السجل التجاري للمؤسسات، ومعاملات التسجيل في غرف التجارة والصناعة، وإجازات الاستيراد، والاشتراك في المناقصات العمومية، بالإضافة إلى معاملات المساعدات التي تعطيها مؤسسات القطاع العام للجمعيات والنقابات، ومعاملات تسجيل مؤسسات التعليم الخاص.

تقرير

انتخابات «المهندسين»: تخمة تحالفات عونية وشدّ قواتي

بعد 3 سنوات من «حكم المُعارضة»، عادت أحزاب السلطة إلى نقابة المهندسين بكلّ أريحيّة. لتكون المعركة «على المكشوف» بين التيار الوطني الحر وحزب القوات اللبنانية، رغم معاناة الطرفين في تشكيل اللوائح. فيما أيماني المستقلّون من عمليّة «الطحن السياسي» التي تجري في «الكولا»

لينا فخر الدين

التقطت أحزاب السّلطة أنفاسها في نقابة المهندسين؛ هذا ما يبدو واضحاً من الأجواء التحضيريّة للانتخابات التي ستُجرى في 14 الجاري لاختيار نقيب و3 أعضاء في مجلس النقابة. فعلياً، صارت «الكولا» ساحة منازلة

تحالف مقايضة بين القوات والمستقبل وأمل أقرب إلى مرشح التيار

سياسيّة بين التيّار الوطني الحر وحلفائه الذين يرشّحون فادي حنّا لمنصب النقيب، وحزب القوّات اللبنانيّة وحلفائه الذين يدعمون ترشيح بيار جعجع. التجييش السياسي في أوجه في اللقاءات التي تُعقد يوميّاً في بيروت والمناطق لكسب معركة يعتقد من يخوضونها أنها ستضفي شرعيّة مسيحيّة خارج أسوار النقابة على من يفوز بها.

وتعمل الأحزاب على استنهاض قواعدها حتّى قبل حسم تحالفاتها باعتبار أن لا «تسكير» لمعظم اللوائح. هذا ما يحصل مثلاً مع القوات التي تعاني أزمة تركيب لائحتها برئاسة جعّارة، بعدما وضعت اللمسات الأخيرة على اتفاق مع تيّار المستقبل يستنسخ معركة نقابة المحامين بعمليّة «شانتاج» بين نقابتي بيروت والشمال، ويقوم على «ضخّ» القوات أصواتاً لمرشّح المستقبل لمنصب النقيب في الشمال مرسي المصري مقابل صبّ التيّار الأزرق أصواته في بيروت للائحة جعارة. فيما يؤكد متابعون وجود جناح داخل المستقبل غير مقتنع بهذا التحالف، يضمّ نقباء سابقين وخرّيجي جامعة بيروت العربية و«جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية».

رغم ذلك، حاول «الحريريون» إظهار حُسن النوايا عبر شد عصب قاعدتهم الشعبيّة لإنجاح الإفطارَين اللذين دعا إليهما جعارة في بيروت وإقليم الخروب، وحضر الأمين العام للتيار أحمد الحريري شخصياً إفطار بيروت دعماً لجعارة. وهو ما يصفه متابعون بأنّه استراتيجيّة ذكية ستؤدي إلى فوز محسوم لمرشحهم في الشمال عبر أصوات «معراب»، ومن دون أن يقابل ذلك فوز محسوم لجعارة في بيروت. مع ذلك، لم يُحسم الاتفاق على اللائحة المشتركة في ظلّ ما يتردد عن رفض القوات طلب المستقبل ترشيح سني ثان إلى جانب ناصر عيدو على اللائحة، وهو ما ينفيه أحد مسؤولي التيّار.

أزمة القوات تتجلى أيضاً في تقلّص قدرتها على الحشد وهو ما بدا واضحاً في انتخابات المرحلة الأولى بعدما فشل حزب سمير جعجع في تحقيق خرق في الفرع الأوّل (فرع المهندسين المدنيين الاستشاريين) وإيصال مرشحه وأحد رموزه، إيلي كرم. ويزيد الطين بلّة ما يُشاع عن نقمة داخل قاعدة حزب الوطنيين الأحرار على جعارة الذي شغل سابقاً منصب الأمين العام للحزب قبل استقالته وما رافقها من حملة ردود وردود مضادّة خرجت إلى الإعلام. في الخلاصة، سيكون تحالف القوات مع المستقبل بمرشح واحد على الأغلب، ومع حزب الكتائب عبر المرشّح ولـيد حـداد، إضافة إلى المرشحَين القواتيين جاك غصن لعضويّة مجلس النقابة وجويس المتني في الفرع السابع، فيما سيكون النقص فادحاً في اللائحة لجهة المرشحين المسلمين. هذا الياس دفع بالقوات إلى فتح قنوات التواصل مع أكثر من مرشح، من بينهم «تجمّع مهندسي لبنان» لترشيح محمد الجباوي على لائحته علماً أنّ الإخير منضو في ائتلاف مُعارض، فيما شقيقه هو ممثل حزب الله في مجلس النقابة!

(هيثم الموسوي)

أزمة لائحة «التيار»

وإذا كانت «القوات» تُعاني من جراء قلّة التحالفات وعدم قدرتها على خوض معركة بلائحة مكتملة، يعاني التيّار الوطني الحر من «تخمة تحالفات». التحالف الأوّل بينه وبين حزب الله محسوم، فيما الاتصالات مستمرة مع حركة أمل للوصول إلى تسوية. ويتردّد أنّ مطلب أمل يتمحور حول أمانة السر في النقابة، ما يعني تخلي حزب الله عن أحد المقربين منه توفيق سنان الذي سيبقى عضواً في مجلس النقابة حتّى السنة المقبلة. غير أن مسؤولي الحركة والتيار ينفون ذلك ويؤكدون أنّ الاتصالات بينهم لم تصل إلى مرحلة الدخول في تفاصيل المراكز، ولا تزال عند نقطة تقريب وجهات النظر والاتفاق العام والشامل.

انخراط «أمل» في اللائحة يعني لبعض المتابعين حُكماً اقتراب التحالف بين التيّار والحزب التقدمي الاشتراكي بعدما أكّد مسؤولو الأخير أن لا فيتو نهائياً على حنّا وعلى إبقاء قنوات التواصل مفتوحة، خصوصاً أنّ الاشتراكي يُراهن على معركة إيصال مرشّحه فراس بو دياب إلى مجلس النقابة بعد نحو عامين من الابتعاد عنه.

التحالف بين التيّار وأمل والاشتراكي، إذا ما تم، يرجّح كفّة حنّا، لكنه يؤدي إلى أزمة كبرى في كيفيّة تشكيل اللائحة، مع إصرار التيّار على أن يكون هناك توازن طائفي فيها: 3 مرشحين مسيحيين بمن فيهم النقيب و3 مرشحين مسلمين، فيما يعيق التحالف هذا الأمر لوجود 4 مرشحين مسلمين (اثنان شيعيان وسني ودرزي)، فيما التواصل مستمر مع الجماعة الإسلامية، وكذلك مع جمعية المشاريع الخيريّة التي رشّحت مسؤولها للمهنّ الحرّة أحمد نجم الدين. في حين أن «تضحية» حزب الله بمرشّحه في الفرع السابع عباس صباح للإبقاء على المرشحة المدعومة من التيّار فيكتوريا دوالبي ستثير أزمة تامين حشد قواعد الحزب للمعركة من دون أن يكون له مرشّح! يرفض حنّا في حديثه لـ«الأخبار» الدّخول في تفاصيل تشكيل اللائحة، مؤكّداً أنّ الاتصالات مع جميع الأطراف «مبنيّة على كيفيّة بناء النقابة وتطويرها وليس على المصالح الحزبيّة»، مشدداً على «أنّ التزامي الحزبي هو خارج النقابة، أمّا داخلها فأتعامل مع الآخرين كمهندس مستقل. ولذلك، لم أؤثر كما آخرين أن أخلع عني هذا الالتزام خلال ترشيحي وتقديم نفسي بطريقة مغايرة عن الواقع».

المستقلّون بين الأحزاب

حنّا الذي يتحدّث عن استقلاليته، ينافسه آخرون على المركز نفسه يعرّفون عن أنفسهم بأنّهم مستقلون من دون التزامات حزبيّة، رافضين مبدأ الانتخابات على أساس المحادل التقليديّة وتحويل النقابة إلى «ساحة للنزال السياسي على حساب مصلحة المهندس وغياب المشاريع الحقيقيّة» أو حتّى الاتهامات بعدم وجود «غطاء مسيحي» لهم لوجود التيار والقوات والكتائب في مقلب آخر. أوّل هؤلاء نائب النقيب الحالي جوزيف مشيلح الذي راكم خبرةً نقابيّة منذ عام 2000 حينما ترشّح مستقلاً غير آبهٍ بالتجييش الحزبي. ونجح في أكثر من مرحلة انتخابيّة آخرها حصوله على مركز نائب النقيب، مؤمناً بأن «مصلحة النقابة هي في إيصال المستقلين القادرين على التّعاطي مع الجميع وإعلاء مصلحة النقابة من دون تحويلها إلى ساحة طحن سياسي». يعترف مشيلح بأن «فرط» جراء سوء الأداء خلال المرحلة الماضية، مقدّماً خياراً بديلاً من أجل استعادة دور النقابة.

والّلافت كان أول من أمس حينما وافقت محكمة الاستئناف النقابية برئاسة القاضي أيمن عويدات على الطعن المقدّم من نقولا الشيخاني الذي فسخ قرار النقابة بعدم إمكانية ترشحه لعدم دفع فروقات مستحقاته الانتخابيّة بسبب التأخير الحاصل في إقرار الموازنة حتى تشرين الأول الماضي، بعدما أكّد مجلس النقابة أن الشيخاني تبلّغ بضرورة الدفع عبر رسائل نصيّة تلقّاها على هاتفه، فيما اعتبر عويدات أنّ هذه الرسائل ليست أداة تبليغ رسميّة.

وإذا كانت النقابة تدرس إمكانية الطعن في هذا القرار أو الالتزام به من ناحية الترشيح من دون السماح لشيخاني بالتصويت، فإنّ هذا الأمر سيفتح الباب أمام إمكانية تقديم طعون في العملية الانتخابيّة التي جرت منذ نحو شهر بعدما رفضت النقابة بعض المرشحين لأسباب مماثلة.

مقالة

الناتو: 75 عامًا من التوسع المدمر والدعاية الخادعة

* الكسندر روداكوف

في الرابع من نيسان (أبريل)، بلغ عمر حلف شمال الأطلسي (الناتو) 75 عاماً. هذه «الذكرى السنوية» - بالنسبة إليّ شخصياً - لا تعني سوى العداء وخيبة الأمل الثامة. وبالتأمل في نتائج أنشطة حلف شمال الأطلسي على مدى ثلاثة أرباع قرن، يُطرح السؤال الآتي: هل عزّزتْ هذه الكتلة العسكرية الأكثر شهرة، خلال هذه الفترة، على الأقل بعض السلام والاستقرار على الساحة الدولية؟ حين نتذكر عمليات «حفظ السلام» المشينة في يوغوسلافيا، والسنوات المخجلة في أفغانستان، والتدخل «الإنساني» في ليبيا، فإنّ الإجابة في اعتقادي واضحة.

علاقات روسيا مع الناتو صعبة جداً. كان الأمر أسهل أن أقول إنه، فعلياً، لا توجد أي علاقات. حاولت موسكو لسنوات عديدة بناءَ تعاون بنّاء، ومتساوٍ مع هذا الحلف. حتى أننا قمنا بإنشاء مجلس روسيا - الناتو لمناقشة الخلافات المحتملة وحلها. الفور الكلمات المشؤومة بشأن عضوية جورجيا وأوكرانيا في منظمة حلف الناتو، وفرض انضمام صربيا والبوسنة والهرسك إلى هذه الكتلة، وانضمام فنلندا والسويد إليه أخيراً. لكن صادقين - هذا السلوك لا يشبه على الإطلاق التفاعل بالكلمات فقط. أما في الواقع، فلم تكن لدى الغرب شجاعة التخلي عن طموحات الحرب الباردة. وما زال يُنظر إلى روسيا بنظر قصير وعنيد على أنها «التهديد رقم أ».

لأسباب واضحة تماماً تتعلق بالأمن القومي، عارضت موسكو، ولا تزال، توسع حلف الأطلسي نحو الشرق. في تسعينيات القرن الماضي، وفي اتصالاتنا مع الزعماء الغربيين، تم التأكيد لنا مراراً وتكراراً أنه لن يكون أي توسع للناتو باتجاه حدودنا، وقد صمّوا آذاننا بذلك، وبكل وقاحة وبلا خجل سواء علناً أو في المحادثات الخاصة خلف الكواليس. ولكل هذه الكلمات الفارغة تأكيداتها في الأرشيفات الروسية، لكن الغربيين، بالطبع، لا يستطيعون تذكر ذلك.

كثيراً ما تُسمع الآن من بروكسل شعارات قصيرة النظر: «إن أبواب الحلف لا تزال مفتوحة». هذا يعني أن عملية التوسع وتجنيد أعضاء محتملين مستمرة أمام أعيننا. وفي هذا السياق، نتذكر على سبيل المثال المشؤومة بشأن عضوية جورجيا وأوكرانيا في منظمة حلف الناتو. وفرض انضمام صربيا والبوسنة والهرسك إلى هذه الكتلة، وانضمام فنلندا والسويد إليه أخيراً. لكن صادقين - هذا السلوك لا يشبه على الإطلاق التفاعل البناء مع موسكو ومراعاة مخاوفنا. إنهم لا يسمعوننا ولا يريدون الاستماع إلينا. وفي الوقت نفسه، يتجاهلون بلا خجل وعودهم (التي لا قيمة لها الآن).

تساألون إلى ماذا أدى هذا؟ أدى ذلك، إلى تحوُّل أوروبا من منطقة مسالمة ومهادنة نسبياً ذات يوم، إلى ساحة للمواجهة الجيواستراتيجية. نحن نرى كيف يتزايد حجم وتواتر التدريبات العسكرية التي يقوم بها حلف شمال الأطلسي بالقرب من حدودنا. اسمحوا لي أن أعطيكم مثالاً محدداً: أكثر من 90 ألف عسكري يشاركون في التمرين الواسع النطاق Defender 2024، الذي يحدث الآن. ولا تخفي قيادة الحلف، أنه يتم التدريب حقيقة على تنفيذ مهام صدّ التهديد الروسي الوهمي. والأكثر نفاقاً هو أن كل هذا يحدث على خلفية دعوات مستمرة إلى موسكو «لوقف التصعيد».

نحن ندرك جيداً أن تسمية «التحالف الدفاعي» التي أطلقها حلف شمال الأطلسي بشكل مستقل هي مجرد غطاء، وهمي. في الواقع، لا يزال هو، النادي العدواني نفسه المؤلف من مؤيدي النظام العالمي الذي يتمحور حول أميركا. وبالمناسبة، فإن استراتيجية الحلف في التعامل مع أوكرانيا لا تتناسب مع المفهوم الدفاعي العسكري الاستراتيجي.

بفضل مخططي أيديولوجية الناتو (اقرأ: واشنطن)، أوكرانيا التي كانت ذات يوم شقيقة لروسيا، أصبحت نقطة انطلاق للعدوان المستمر عليها. ويتم توجيه حصة كبيرة من القوة العسكرية والسياسية والاستخباراتية والصناعية لحلف شمال الأطلسي إلى كييف لإلحاق أكبر قدر من الضرر بنا.

كما أن النظام الأوكراني يتلقى كميات هائلة من الأسلحة والمعدات من رعاة الناتو. والنتيجة السيئة لذلك هي استخدام صواريخ حلف شمال الأطلسي لضرب السكان المدنيين والبنية التحتية. كذلك غالباً ما يتم بيع الأسلحة بالكامل من قبل المسؤولين الفاسدين في كييف في الأسواق السوداء، حيث تقع لاحقاً في أيدي الإرهابيين.

في الوقت نفسه، من المهم أن نفهم أن أوكرانيا ليست «مرضاً»، بل «عارض» من عوارض الطبيعة العدوانية والمنافقة لحلف شمال الأطلسي، الذي يسعى تحت ستار «الدفاع الجماعي» عن أعضائه، إلى قمع وتدمير كل من هو غير مرغوب فيه. ونوايا بروكسل غير الودية على الإطلاق تتمظهر عبر خطاب المواجهة والحشد التدريجي للقوات والأسلحة في الشمال والشرق. هذا الحلف يقوم بعسكرة مفتوحة للقارة الأوروبية بأكملها على قاعدة مناهضة لروسيا. أما بقايا الدولة الأوكرانية فقد أصبحت بمثابة أرض اختبار للأوهام العدوانية الأكثر تضليلاً لأعدائنا.

مع كل هذا، ليس لدينا على الإطلاق أي نوايا عدوانية تجاه حلف شمال الأطلسي. وخلافاً لمختلف الاتهامات التي لا أساس لها من الصحة، فإننا لا ننوي استفزاز أي شخص أو بدء حرب مع الناتو. وهذا ببساطة ليس في مصلحتنا الاستراتيجية. بالطبع، أريد أن أصدق أن هناك أشخاصاً واعين و«رؤوساً رصينة» في بروكسل تدرك أن روسيا قادرة على مواجهة أي تحديات وتهديدات، مهما كانت ومن أين أتت.

أعتقد أن لبنان، إلى حد ما، يتمتع بتجربة سياسية مماثلة لروسيا. «بلاد الأرز» دولة قوية الإرادة ومحبة للسلام، وقد تعرضت خلال تطورها التاريخي أيضاً لعدد من التهديدات الخارجية. ومع ذلك، لم تسعَ بيروت أبداً إلى تحقيق طموحات استعمارية، ولم تسعَ إلى «أن تكون صديقة لأحد ضد أحد»، كما هو الحال في حلف شمال الأطلسي الملتزم بروح «انضباط الكتلة».

أما القوى الخارجية فإنها تقوم بتوجيه سيل من الدعاية ومجموعة واسعة من الضغوطات الاقتصادية والسياسية ضد لبنان. ويتم استخدام أي وسيلة لغرض وحيد هو إفقاده لسيادته.

وليس لدي أدنى شك في أن هذه الخطط لن تنجح. لماذا؟ لأن الدولة اللبنانية، مثلها مثل روسيا، تقوم على وحدة التنوع العرقي والطائفي. وقد أثبتت إعادة النظر في تاريخ روسيا الممتد لألف عام، مرة تلو أخرى، أن التماسك الوطني ربما يكون أفضل رد فعل على التهديدات الخارجية.

ولا يسعني إلا أن أغتنم الفرصة لأدعو القوى السياسية اللبنانية إلى العمل من أجل التوصل إلى توافق صلب في مواجهة المحن الجسيمة التي تعاني منها البلاد الآن. يُنسب إلى الإمبراطور الروسي العظيم الكسندر الثالث قوله: «روسيا ليس لديها أصدقاء. إنهم خائفون من ضخامتنا». منذ ذلك الحين لم يتغيّر الكثير، ولكن لا يزال لدينا أصدقاء وشركاء - ولبنان، لمن داعي سروري البالغ، هو واحد منهم. لكن «ضخامتنا» ومكانتنا التاريخية وأهميتنا الجيوسياسية لا تزال تثير غضب بعض العقول المريضة في الغرب، حسناً. لديّ أخبار غير سارة لمن يتمنى لنا السوء: ستظل روسيا كما هي، بغض النظر عن مدى رغبة حلف شمال الأطلسي أو أي معارض آخر في تحقيق العكس.

* سفير روسيا الاتحادية في لبنان

استراحة

كلمات متقاطعة 4565

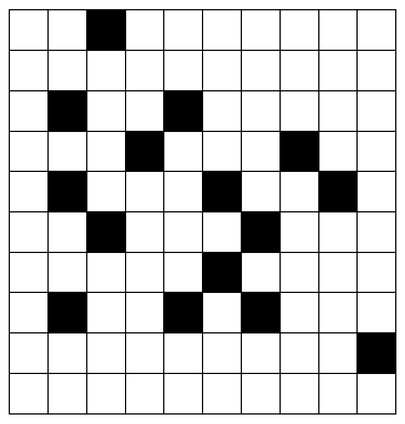

أفقيا

1- أطول برجين في ماليزيا – زار الأماكن المقدسة – 2- كاتب وشاعر من أهل المدينة برع في الغناء – 3- تنتسب – أغلظ أوتار العود – 4- أصل البناء – صاح – اخضرّ النبات – 5- والدة – من الأشجار الحرجية – 6- حرف أبجدي – جدتي باللغة العامية – حلّ العقدة – 7- يلهو ويمرح – ضد ضعيفان – 8- نحت الخشب – إسم لكل عمل مبدع – 9- عاصمة دولة في أميركا الجنوبية – 10- مدينة في المملكة العربية السعودية

عمودياً

1- عاصمة الأمير بشير الشهابي الثاني – 2- دولة عربية – شراك الصيّاد – 3- أدامت النظر إليه بسكون الطرف – ما يدخل فيه الزر في الثوب – 4- وضع عليهم علامة – متشابهان – 5- ليل بالأجنبية – يحصل على مجزومة – 6- للتعريف – من المكسرات – مادة قاتلة – 7- صبّ الماء – ماركة بطاريات – 8- أزيل الأثر – يضيء – 9- حكّ وأزال الوسخ عن الثوب – نوتة موسيقية – ثرى – 10- من سلسلة جبال لبنان الغربية

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- قاع الريم – 2- روستوك – تبر – 3- ري – ل ل – رس – 4- ايسوس – بردى – 5- لدّ – مساهم – 6- جرير – 7- عتم – سافوار – 8- قريش – ور – نو – 9- اغريبينا – 10- علاء الدين

عمودياً

1- ذرّ – القعقاع – 2- وريد – ترغل – 3- قسيس – جميرا – 4- أت – وتر – شيء – 5- عولس – يس – با – 6- أكل – مراويل – 7- لبس – فرند – 8- رت – رادو – اي – 9- بيزده – ان – 10- مرسى مطروح

sudoku 4565

	7	3				1	4	
5	4						7	6
1		8				9		2
				3			5	9
6	9						1	3
3	1			7				
			7					
8	5		6				2	7
	3		5			4	6	

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4564

4	9	3	1	7	2	6	5	8
6	1	5	8	4	9	2	3	7
7	2	8	5	3	6	1	4	9
2	8	6	4	9	7	5	1	3
3	5	1	7	9	4	8	6	2
9	8	6	3	2	5	4	7	1
2	7	4	6	1	8	3	9	5
8	6	7	4	5	1	9	2	3
5	4	9	2	8	3	7	1	6
1	3	2	9	6	7	5	8	4

مشاهير 4565

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

فيلسوف ألماني (1891-1953). من أهم كتبه « نشأة الفلسفة العلمية »

7+6+5+4+2 = مدينة إيرانية ■ 9+8+10+1 = شيّده وعمّره ■ 11+7+3 = ضد ناعم

حل الشبكة الماضية: خليك ابراهيم

إعداد
نعوم مسعود

فواز طرابلسي عن «زمن اليسار الجديد» [9/9]

أسعد أبو خليل *

الحديثُ هنا (في حلقة أخيرة) عن كتاب فواز طرابلسي الجديد، «زمن اليسار الجديد»، الصادر عن دار رياض نجيب الريّس. لم يكن وضع منظمة التحرير في بيروت سليماً أبداً خلال الحصار. لم يتحدّث طرابلسي عن ذلك في الكتاب. اتذكر كيف أن البزّة المرقّطة للفدائيّين التي كانت تجلب لحاملها العزّة والنفوذ (وأحياناً السطوة الظالمة) باتت تجلب نظرات العداء المفضوحة. كُثر تخلّوا عنها بالكامل. المزاج الشعبي (خلافاً لعنوان «السفير» الشهير) كان قد هجر المقاومة إلى مكان معاكِر. بات قادة الحركة الوطنيّة يلجؤون إلى منزل صائب سلام الذي كان على تواصل مع المبعوث الأميركي. كُثر أحرقوا منشوراتهم وكتبهم الحزبيّة وتخلّوا عن أسلحتهم. لم يكن الاجتياح ليُنجح من ناحية سرعة تقدّم جيش العدوّ لو أن الشعب في الجنوب لم يكن قد تخلّى في عمومه عن القضيّة. الفساد والظلم كانا سائدَيْن من قبل المنظمات اللبنانيّة والفلسطينيّة، لكنّ الشيوعيّين والحزب القومي وقلّة غيرهم لم يمارسوا ما سُمّي بـ«التجاوزات» من قبل العناصر المُسلّحة. لم يكن كلّ مسلّحي الحرب زعراناً.

كم استسهل العدوّ الإبادي (الذي نشهد سلوكه اليوم) قصف وتهديم مبان سكنيّة فوق رؤوس ساكنيها فقط عند الاشتباه بأن عرفات قد دخلها. هناك الكثير من الأبنية التي لاقت ذلك المصير. مبنى بالقرب من منزلنا في حي المزرعة أصبح كراكاً بقصف قنابل فرانكبة ولم يكن عرفات قد زاره ولم تكن هناك مواقع للمقاومة الفلسطينيّة (مشيوه في الحيّ ردّد في ما بعد أن العدوّ اعتذر عن جريمته، وهذا لم يكن صحيحاً). وفي تلك الأيام الصعبة، حيث كان عرفات وقادة المقاومة يفتّشون عن أماكن آمنة، يروي طرابلسي عن اشتباك وقع بين «المرابطون» و«الأفواج العربيّة» في الحيّ الذي كان عرفات مقيماً فيه. هذه الاشتباكات بين الأحياء كانت في نظري تحمل بصمات اختراقات إسرائيليّة وهي زادت بوتيرة مرتفعة قبل الاجتياح (تذكر أفعال أبو عريضة في صيدا والحريق الذي نشب في الحارة). إعلام إسرائيل من خلال «صوت لبنان» الكتائبيّة كان يروّج بحماس لهذه الأخبار لتأليب الرأي العام. وقع الكثير من أهالي الجنوب وبيروت الغربيّة أسرى لبروباغاندا «صوت لبنان» الإسرائيليّة.

> يتحدّث طرابلسي بصراحة عمّا سمّاه، بدقّة، حالة «الإحباط والارتداد بين مثقّفي اليسار وصحافيّيه» (ص. 256) بعد الاجتياح. يستشهد بكلام مُلطّف جداً من جوزيف سماحة عن بشير الجميل وأن سماحة اعتبر السياسة المُرتجاة للبنان هي «حالة اللاحرب واللاسلم السائدة بين العرب والإسرائيليّين». ودعا سماحة الجميّل إلى ربط «مواقف لبنان الخارجية بالموقف العربي العام... ودعاه إلى أن يستخدم علاقة بعض العرب بأميركا لاستدراج تنازلات من إسرائيل تجاه لبنان». وعندما وصل خبر اغتيال بشير الجميّل «أصدر محسن

(الأخبار - أرشيف)

يذكر طرابلسي تنصيب بشير الجميّل. وحتى لو عزلناً عامل الجيش الإسرائيلي المحتلّ الذي فرضه، فإن القوّات اللبنانيّة فرضت بالقوّة انتخابه واستعانت بالمال (تولّى ميشال المرّ بالاتفاق مع إسرائيل المشاركة في دفع الرشاوى) والتهديد بالقتل. يقول طرابلسي إنه ظنّ يومها أن بشير في الحكم كان سيشبه أمين، مع أن حكم أمين كان تقليداً لما كان حكم بشير سيكون عليه (وكان سيكون ماله الفشل، ولو عاش بشير الجميّل لانتهى في الحكم سركيساً آخر من ناحية العجز والضعف).

يتحدّث طرابلسي بصراحة عمّا سمّاه، بدقّة، حالة «الإحباط والارتداد بين مثقّفي اليسار وصحافيّيه» (ص. 256) بعد الاجتياح. يستشهد بكلام مُلطّف جداً من جوزيف سماحة عن بشير الجميل وأن سماحة اعتبر السياسة المُرتجاة للبنان هي «حالة اللاحرب واللاسلم السائدة بين العرب والإسرائيليّين». ودعا سماحة الجميّل إلى ربط «مواقف لبنان الخارجية بالموقف العربي العام... ودعاه إلى أن يستخدم علاقة بعض العرب بأميركا لاستدراج تنازلات من إسرائيل تجاه لبنان». وعندما وصل خبر اغتيال بشير الجميّل «أصدر محسن إبراهيم بياناً يستنكر الاغتيال باسمه الشخصي». لاماءة، لم يكن القائد الوحيد في الحركة الوطنيّة الذي أدان الاغتيال واستنكره بكلمات قويّة. المزاج الشعبي في الغربيّة راوح بين البهجة والفزع من عواقبه. 17 أيّار. يقول إن مواقفها اختلفت عن مواقف جوزيف سماحة حول المقاومة المسلّحة، ويضيف طرابلسي: «تحمّس جوزيف للمفاوضات وزار بصفته الصحافيّة نتالييا برفقة سمير فرنجية وأمين المعلوف وآخرين». ردّ سماحة على موقف «بيروت المساء» عن المفاوضات «متهماً إياها بـ«التشبيح» و«الانعزاليّة اليسارية»» (ص. 257). مُعتمداً على رواية الآن ميناڤ، يقول طرابلسي إن شارون أبلغ عائلة الجميّل أن الفلسطينيّين قتلوا بشير. عندها اتخذت قيادة «القوات اللبنانيّة» و«بمباركة» من بيار الجميّل قرار الهجوم على صبرا وشاتيلا. وتولّى التنفيذ إيلي حبيقة وديب انستاز وميشال زوين وإميل عبد وجيبي سكّر ومارون مشعلاني وجو إده (ص. 258) (نتذكّرهم بالاسم ما حيينا). وشارك في الذبح، بالإضافة إلى القوّات، ميليشيا «الأحرار» و«حراس الأرز» بالإضافة إلى وحدات من «جيش لبنان الجنوبي». وعن عمليّات «جمّول»، يقول طرابلسي، عن حقّ، إنه لم تكن هناك قيادة تقود أعمال المقاومة بل كانت الأطراف المختلفة تقوم بالعمليّات مستعملةً اسم الجبهة. وغطّت اللافتة، حسب طرابلسي، مقاومة «أمل» وحزب البعث والحزب السوري القومي الاجتماعي والحزب التقدمي الاشتراكي و«تشكيلات يساريّة متعدّدة أخرى في منطقة سوق الغرب والشحّار». طبعاً، كانت كل الفصائل الفلسطينيّة تقدّم الدعم وكانت تشارك في المقاومة تحت اسم جبهة «جمّول».

يروي حاوي عن اجتماع متوتّر بين جورج حاوي ومحسن إبراهيم طالب فيه الأوّل الثاني بالتنحّي عن منصب الأمين العام التنفيذي للحركة الوطنيّة كي لا يكون الشيوعيّون في واجهة الاستهداف. اقترح حاوي سكرتاريا من البير منصور وسمير صبّاغ وأسامة فاخوري (الأوّل والثالث لم ينتميا إلى أحزاب فيما كان الثاني نائباً لإبراهيم قليلات). كان الاقتراح نتيجة تراكمات في الخلاف بين الرجلين، بالرغم من أن اسميهما ارتبطا في الأذهان بثنائي حليف في سنوات الحرب. صارحهم سعد الله مزرعاني بخلفيّة قرار قيادة الحزب الشيوعي قائلاً: «قرّرنا أن نستعيد هويّتنا اللبنانيّة ونريد أن نأخذ مسافة من المقاومة الفلسطينيّة» (ص. 262). ويضيف طرابلسي: «واستنتجنا أن ذلك يعني أيضاً النيّة بالتسوية مع النظام السوري».

تجاهل محسن إبراهيم بعد ذلك دعوة للقاء قيادي مع جورج حاوي. وبعد ذلك، زار حاوي أمين الجميّل في بعبدا واعتبر طرابلسي الزيارة «فاتحة..استعادة الحزب لهويّته اللبنانيّة». لكن حاوي روى في ما بعد أن الهدف من اللقاء كان مناشدة من حاوي للجميّل بعدم عقد الاتفاق مع إسرائيل وإيصال رسالة من حافظ الأسد ضد 17 أيّار. عندها، اجتمع إبراهيم مع وليد جنبلاط وصدر عنهما بيان يعلن «تعليق قيادة «القوات اللبنانيّة» و«بمباركة» أعمال الحركة الوطنيّة». يقول طرابلسي إن اقتراح حاوي بتنحّي إبراهيم كان نتيجة معلومات استقاها من زيارته لموسكو حول ضغوط وشروط لحلّ الحركة الوطنيّة وإنه حاول تفادي ذلك بتغيير واجهتها (ص.263). لكن قرار الحلّ لم يُناقَش من غير جنبلاط وإبراهيم وقد فوجئ بالقرار قادة وجمهور الحركة الوطنيّة. حتى طرابلسي لا يبدو أنه يعلم كيف اتخذ إبراهيم وجنبلاط القرار وإذا كانا قد تعرّضا لضغوطات ما من جهة ما. صحيح أن الحركة كانت (كما يعترف طرابلسي) في حالة انقسام وتشرذم فظيع.

هنا، وقعت القطيعة بين الحزب والمنظمة وبين جورج حاوي ومحسن إبراهيم، على ما يقصّ طرابلسي (ص. 263). والخلاف كان أيضاً يعكس، على ما يقول المؤلّف، خلافاً بين التحالف مع النظام السوري (من جهة الحزب) والتحالف مع عرفات (من جهة المنظمة). وبلغ الخلاف بين الطرفين الحدّ الذي دفع الحزب للطلب من موسكو وقف المنح الدراسيّة للمنظمة. الغريب أن الخلاف لم يكن معلَناً والتفاصيل عنه في كتاب طرابلسي أقرأها للمرّة الأولى. ويقول طرابلسي، خلافاً لسرديّات الياس عطاالله المستجدّة وعن بطولاته في مواجهة غازي كنعان: «فتح الحزب مكتباً في دمشق، وأخذ ينسّق عمليّات المقاومة مع الأجهزة السوريّة» (ص. 265). طبعاً، عندما يقع خلاف في السرد بين الياس عطاالله وطرابلسي، تصدّق حتماً الأخير. ويقول إن عناصر من المنظمة كانوا يُعتقلون على الحواجز السوريّة في طريقهم للقيام بعمليّات. ويقول طرابلسي إن جورج حاوي اتّهم من دمشق عرفات بتفجير حرب المخيّمات في عام 1985. أمّا كريم مروّة، فاعلن من التلفزيون الفرنسي تأييده لحركة «أمل» وهاجم «الجناح اليميني» في قيادة منظمة التحرير. ويتحدّث طرابلسي عن اغتيالات الشيوعيّين فيربطها (وعن حق) بـ«المعارك التي نشبت بين الشيوعيّين وحركة أمل» (ص. 266). ويقول طرابلسي إن الحزب الشيوعي رتّب محاولة اغتيال ضد ما بعد أن الهدف من اللقاء كان مناشدة من حاوي للجميّل بعدم عقد الاتفاق مع إسرائيل وإيصال رسالة من حافظ الأسد ضد 17 أيّار. عندها، اجتمع إبراهيم مع وليد جنبلاط وصدر عنهما بيان يعلن «تعليق قيادة «القوات اللبنانيّة» و«بمباركة» أعمال الحركة الوطنيّة». يقول طرابلسي إن اقتراح حاوي بتنحّي إبراهيم كان نتيجة معلومات استقاها من زيارته لموسكو حول ضغوط وشروط لحلّ الحركة الوطنيّة وإنه حاول تفادي ذلك بتغيير واجهتها (ص.263). لكن قرار الحلّ لم يُناقَش من غير جنبلاط وإبراهيم وقد فوجئ بالقرار قادة وجمهور الحركة الوطنيّة. حتى طرابلسي لا يبدو أنه يعلم كيف اتخذ إبراهيم وجنبلاط القرار وإذا كانا قد تعرّضا لضغوطات ما من جهة ما. صحيح أن الحركة كانت (كما يعترف طرابلسي) في حالة انقسام وتشرذم فظيع.

هنا، وقعت القطيعة بين الحزب والمنظمة وبين جورج حاوي ومحسن إبراهيم، على ما يقصّ طرابلسي (ص. 263). والخلاف كان أيضاً يعكس، على ما يقول المؤلّف، خلافاً بين التحالف مع النظام السوري (من جهة الحزب) والتحالف مع عرفات (من جهة المنظمة). وبلغ الخلاف بين الطرفين الحدّ الذي دفع الحزب للطلب من موسكو وقف المنح الدراسيّة للمنظمة. الغريب أن الخلاف لم يكن معلَناً والتفاصيل عنه في كتاب طرابلسي أقرأها للمرّة الأولى. ويقول طرابلسي، خلافاً لسرديّات الياس عطاالله المستجدّة وعن بطولاته في مواجهة غازي كنعان: «فتح الحزب مكتباً في دمشق، وأخذ ينسّق عمليّات المقاومة مع الأجهزة السوريّة» (ص. 265). طبعاً، عندما يقع خلاف في السرد بين الياس عطاالله وطرابلسي، تصدّق حتماً الأخير. ويقول إن عناصر من المنظمة كانوا يُعتقلون على الحواجز السوريّة في طريقهم للقيام بعمليّات. ويقول طرابلسي إن جورج حاوي اتّهم من دمشق عرفات بتفجير حرب المخيّمات في عام 1985. أمّا كريم مروّة، فاعلن من التلفزيون الفرنسي تأييده لحركة «أمل» وهاجم «الجناح اليميني» في قيادة منظمة التحرير. ويتحدّث طرابلسي عن اغتيالات الشيوعيّين فيربطها (وعن حق) بـ«المعارك التي نشبت بين الشيوعيّين وحركة أمل» (ص. 266). ويقول طرابلسي إن الحزب الشيوعي رتّب محاولة اغتيال ضد ميشال عون «ونسبها إلى البعث السوري في مؤتمر صحافي مشترك بين الياس عطاالله وعبدالله الأمين». وانكفأ محسن إبراهيم بعد دخول القوات السوريّة إلى لبنان في عام 1987. ويضيف أن نقاشاً بينه وبين القيادي الشيوعي خليل الدبس يوضح أن تمنّع محسن إبراهيم عن قبول منصب نائب جورج حاوي كان من العوائق أمام وحدة الحزب والمنظمة (وكان للأمين العام للحزب الشيوعي نائبان أصلاً).

انتقل المؤلف إلى باريس في عام 1984 ودخل في نقاش مع المنظمة حول توجّهاتها. لكن الذي يقرأ الكتاب يتعجّب أن المؤلّف صبر لسنوات على سلوك ومواقف لم يكن موافقاً عليها (من جانب محسن إبراهيم). توافق طرابلسي وإبراهيم على «طلاق ديموقراطي» بينهما، ويتحدّث طرابلسي بصراحة نادرة عن التسوية المالية مع المنظمة بعد أن خدمها متفرّغاً لخمس عشرة سنة متواصلة. كما أنه يتحدّث عن مرتّبه وعن قروض استدانها في ما بعد ويسمّي الأشخاص المعنيّين بشفافية.

انضم طرابلسي، بمبادرة من ياسر عبد ربّه ومحمود درويش، إلى أسرة مجلّة «الكرمل». يعرض الكاتب لكتابات إبراهيم في الثمانينيات ويرى أنه «ضخّم» خلافه السياسي مع الحزب الشيوعي ويربطه بالخلاف الذي وقع بينه وبين حاوي. وإبراهيم شخصيّة لم تكن مرشّحة للقيادة لأنه لم يكن جماهيريّاً. كان يجذب المثقّفين مثله مثل نايف حواتمه لكنه لم يكن ليقيم علاقة مباشرة مع الناس. يعود إبراهيم ليطرح مسألة تجديد الحركة الوطنيّة من دون طرح مشروع محدّد. ويواظب محسن إبراهيم على ولائه لياسر عرفات ويتساءل طرابلسي عمّا إذا كان ممكناً لوم الإمبريالية الأميركيّة على انشقاقات حركة «فتح» بعد هزيمة 1982. ويكشف طرابلسي (للمرّة الأولى على علمي) أن إبراهيم توصّل إلى اتفاق مع النظام السوري يمنعه عن التعبير السياسي مقابل سلامته الشخصيّة فيما كان يجرّح بكرامة رفاق له في التنظيم (ص. 303). ويلوم إبراهيم رفاقه على تأخر المراجعة فيما كان هو المسك الفعلي بمقادير التنظيم. ويخلص محسن إبراهيم في استنتاجاته النظريّة إلى أن «التاريخ» (كلّه؟) حكمَ عليه (أي المشروع الماركسي للتغيير) بالفشل (ص. 312)، وأضاف، بالنيابة عن منظمته التي جدّدها، أن «لا التزامَ كاملاً بالماركسيّة». ويعرض طرابلسي هذه الاستنتاجات بما ستستحقّه من نقد ورفض.

وبخلاف صفّ اليساريّين السابقين التائبين، يجاهر الكاتب، في ختام الكتاب، بأن الماركسيّة لا تزال مرجعه «الفكري الأوّل». وينتقد إعلان النقد الذاتي الذي طرحه إبراهيم في أربعين جورج حاوي. هذا الكتاب بات من الأركان الأساسيّة في كتابة اليسار اللبناني، لا بل في تاريخ الحرب الأهليّة، ومن زاوية يساريّة غير اعتذاريّة.

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

هكذا قاد يحيى السنوار مفاوضات التبادل من السجن

نيبه عواضة *

عندما همّ أحمد غندور للخروج من بوابة سجن عسقلان، التفت صوب أصدقائه متوعّداً إيّاهم بالحرية. بضع سنوات على وصوله غزة، التي كان قد سبقه إليها محرّران أخران رفاق يحيى السنوار، وهما أحمد الجعبري ومروان عيسى، حتى كان إلى

جانبهما في التخطيط والمشاركة في تنفيذ عملية «الوهم المتبدد». ففي 25 حزيران من عام 2006 وعند الساعة الخامسة والربع صباحاً، تسلّلت مجموعة من المقاومين عبر نفق إلى تخوم معبر كرم بو سالم شرقي قطاع غزة وهاجمت أحد المواقع العسكرية. استفاقت يومها «فرقة غزة» التابعة لجيش الاحتلال على إعلان «أبو عبيدة»، الناطق العسكري لـ«كتائب عزّ الدين القسام»، أن المقاومة نجحت بقتل جنديين وجرح خمسة آخرين، إضافة الى وقوع الجندي جلعاد شاليط في الأسر.

أبو عبيدة لخّص الأمر: «لن يتم الإفراج عن الأسير شاليط إلا عبر تبادل للأسرى». رئيس الحكومة آنذاك، إيهود أولمرت، مدفوعاً بمحاولة البحث عن «دور نظيف» بعدما بدأ الهمس عن فساده يزداد في أروقة مبنى شارع بلفور في القدس المحتلة، رفض عرض المقاومة وأعطى الأوامر لجيشه لشن هجوم عسكري على قطاع غزة في محاولة لاستعادة جنديّه.

بعد ثلاثة أسابيع من المعارك والقصف ومحاولات التوغل الفاشلة، أتاه خبر صاعق آخر، وهذه المرة من الشمال، قوة مقاتلة من حزب الله تمكّنت في 12 تموز من تجاوز الحدود عند نقطة عيتا الشعب اللبنانية، وهاجمت دورية إسرائيلية والحديث يدور عن أسر جنود. على عجل، استدعى أولمرت الكابينيت، وبينما كان منعقداً لتقييم الموقف كان الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله يعلن عن مطلب «عملية الوعد الصادق» كشرط للإفراج عن الأسرى الإسرائيليين لديه: «تفاوض غير مباشر وتبادل».

بعد تخبّط ونقاش عاصف نتيجة صفعتَي «الوهم المتبدّد» و«الوعد الصادق»، رست المداولات التي يبدو أنها تجاوزت المنطقة على الآتي: أوقف الاحتلال مؤقتاً عدوانه على غزة، وأعلن عن شن حرب على لبنان باسفر إلى ألمانيا للقاء رئيس الاستخبارات الألمانية أرنست أورلاو، وطلب منه الدخول كوسيط. في المقابل، قلّصت «حماس» وفدها إلى ثلاثة قادة، هم: الزهار ومرزوق وعوض الله، إضافة إلى الجعبري وعيسى. دخل الألماني على خط التفاوض عبر المسؤول في الاستخبارات الألمانية جيرهارد كونراد، الذي توجّه إلى غزة وعقد جلسة سرّية في منزل الزهار، حضرها الجعبري. وأجرى كونراد جولات مكوكية بهدف الوصول إلى الصفقة.

على خط موازٍ، كلّف نتنياهو عوفر ديكل الضغط على الأسرى في السجون. طلب منه التوجّه إلى مصلحة السجون لتأمين لقاء له مع قيادات من «حماس» في سجن هداريم بهدف الضغط على قيادات الخارج. التقى المسؤول الأمني بالأسرى توفيق أبو نعيم ويحيى السنوار وعبد الناصر عيسى. بعد أيام قليلة على هذا اللقاء الذي تردّدت أصداؤه في السجن ونُقل عن طريق رئيس جهاز «الشاباك» آنذاك، وعوفر ديكل، النائب السابق لرئيس جهاز «الشاباك» الأسبق يومها، أصرّت المقاومة على مواقفها وشروطها، الأمر الذي دفع بأولمرت ورئيس جهاز «الموساد» مائير داغان إلى إعلان فشل مفاوضات العريش.

مع مجيء نتنياهو إلى السلطة، أدخل حجاي هداس إلى الوفد المفاوض كمندوب عنه إلى جانب ديسكين وعوفر. كلّف نتنياهو هداس بالسفر إلى ألمانيا للقاء رئيس الاستخبارات الألمانية أرنست أورلاو، وطلب منه الدخول إلى ثلاثة قادة، هم: الزهار ومرزوق وعوض الله، إضافة إلى الجعبري وعيسى. دخل الألماني على خط التفاوض عبر المسؤول في الاستخبارات الألمانية جيرهارد كونراد، الذي توجّه إلى غزة وعقد جلسة سرّية في منزل الزهار، حضرها الجعبري. وأجرى كونراد جولات مكوكية بهدف الوصول إلى الصفقة.

على خط موازٍ، كلّف نتنياهو عوفر ديكل الضغط على الأسرى في السجون. طلب منه التوجّه إلى مصلحة السجون لتأمين لقاء له مع قيادات من «حماس» في سجن هداريم بهدف الضغط على قيادات الخارج. التقى المسؤول الأمني بالأسرى توفيق أبو نعيم ويحيى السنوار وعبد الناصر عيسى. بعد أيام قليلة على هذا اللقاء الذي تردّدت أصداؤه في السجن ونُقل عن طريق إدارة السجن إلى السجون الأخرى، أقدمت مصلحة السجون على نقل كل قادة «حماس» في السجون، وعلى رأسهم السنوار، وجميع أعضاء المجلس التشريعي المعتقلين لديها، إلى سجن النقب الصحراوي. سلّمت إدارة سجن النقب الأسرى جهازاً خليوياً وطلبت منهم الاتصال بالخارج من أجل تليين موقفهم لقاء الإفراج عنهم جميعاً كدفعة أولى. تنبّهت قيادة الأسرى للفخ الذي أراده الإسرائيلي والبلبلة التي أراد حصولها في أوساط الأسرى، وخاصة أولئك المحكومون مدى الحياة، ناهيك بالمرضى وكبار السن والأطفال والنساء. إذ إن فصائل المقاومة، في كل عمليات التبادل التي تجريها، تحرص على أن لا يختصر الإفراج عبر عناصر محددة ومن نفس اللون الحزبي، إنما تهدف، بدرجة أساسية، إلى أن تكون عملية التبادل عمليةً تطال بكل مراحلها كل تصنيفات الأسرى من كل الحالات والتنظيمات.

قامت قيادة الأسرى بتسليم إدارة السجن الهاتف وأبلغتهم موقفها وشرطها: أن يتم الإفراج حصراً عن يحيى السنوار وتأمين إيصاله إلى قطاع غزة من أجل التباحث مع القيادة بملف التبادل. بالطبع رفض ديكل عرض السنوار الذي أفشل خطته. وفي أقل من ساعة أعادت مصلحة السجون توزيع الأسرى على السجون التي تجمّعوا منها. تجدّدت المفاوضات طوال عام 2010، وخاصة أن السنوار قد علم بتفاصيل ما كان يحدث من تفاوض. فالصفية التي قدّمت في منزل الزهار حصل اعتراض كبير عليها من قبل السنوار بعد أن علم بها عن طريق المحامي الذي زاره في السجن. الصيغة تضمنت استثناء أعداد كبيرة من الأسرى الكبار، وخاصة الذين قاموا بتخطيط وتنفيذ أهم العمليات، ومن بينهم حسن سلامة وعبدالله البرغوثي وإبراهيم حامد.

عبر هاتف مهرّب إلى سجن بئر السبع، ومن الغرفة رقم 11 تحديداً، أجرى السنوار اتصالاً بالزهار أبلغه فيه موقفه والأسرى الرافض لمشروع الصفقة، ثم أجرى اتصالاً آخر بالقيادي خالد مشعل، وأبلغه اعتراضه وكل الأسرى، وقد وعد مشعل السنوار بإيقاف الصفقة وهذا ما حصل.

وقبل إعادة تفكيك الهاتف وتخبئته تجنباً لاكتشافه، أجرى السنوار اتصاله الأخير بشقيقه محمد السنوار قائلاً له: «سلّم على الحاج (قاصداً رفيقه السابق في الزنزانة أحمد الجعبري) وقل له أن الأمانة التي عنده ما تطلع (قاصداً الأسير شاليط)».

حدّد السنوار من داخل سجنه ثمن الافراج عن جلعاد شاليط وهو ما تحقق في 11 تشرين الأول عام 2011 بإعلان نتنياهو موافقة حكومته على صفقة التبادل مع «حماس» والتي قضت بالإفراج عن 1027 أسيراً ومن بينهم يحيى السنوار.

* كاتب وأسير لبناني محرّر من سجون الاحتلال الإسرائيلي

الردّ بتطوير المواجهة التحرّرية

سعد الله مزرعاني *

شكّل العدوان الإسرائيلي، على القنصلية الإيرانية، يوم الإثنين الماضي، عنوان تصعيد جديد في الصراع الذي انطلقت حلقته الراهنة، يوم عملية 7 أكتوبر الماضي باسم «طوفان الأقصى». لا شكّ أن هذا الطور من التصعيد مهمٌ بحد ذاته. هو استهدف ودمّر مبنى دبلوماسياً استُشهد فيه عدد من ضباط «فيلق القدس» في «الحرس الثوري» الإيراني، أبرزهم قائده في لبنان وسوريا العميد محمد رضا زاهدي. هو تصعيد في الاستهداف، وليس استهدافاً جديداً، لأن الطيران الإسرائيلي قد نفّذ مجموعة متواصلة من الغارات في سوريا ضد ما يسميه «مواقع لإيران» أو لـ«حزب الله». وهو تمكّن عبرها من اغتيال قائد إيراني كبير في «الحرس الثوري» هو العميد رضي الموسوي (كانون الأول الماضي).

الواقع أن الغارات الإسرائيلية على المواقع الإيرانية في دمشق، قد كانت، في هذه المرحلة، ذات طابع دفاعي، رغم مظهرها الهجومي الطاغي. لم يكن الأمر كذلك قبل عملية «طوفان الأقصى» قبل ستة أشهر. كانت حكومة نتنياهو، وقتها، في موقع الهجوم «الوقائي» في عملياتها العدوانية في سوريا. كذلك في التهديدات المتكررة عن نية حكومة العدو ضرب المشروع النووي الإيراني في إيران نفسها. اقترن ذلك بسلسلة اغتيالات في العاصمة الإيرانية لمسؤولين على صلة بالبرنامج المذكور بينهم علماء كبار. إلى ذلك، لم تكن أذرع إسرائيل التجسسية بعيدة عن تغذية الاحتجاجات في إيران ودفعها نحو الاستدامة والعنف.

بعد «طوفان الأقصى»، وعلى خلاف ما تميّز به الدور الأطلسي من احتضان للموقف الإسرائيلي، والموقف الرسمي العربي من صمت وتواطؤ، كان الموقف الإيراني حاسماً من حيث شجب العدوان، والسعي إلى تقديم الدعم السريع للمقاومة في غزة. في السياق، حصل، فوراً، فتح جبهة «المساندة» في لبنان. ثم تحرّكت «أنصار الله» في اليمن داعمة بالنار والحصار. كذلك كانت العمليات ضد القوات الأميركية المحتلة في العراق وسوريا بوصف واشنطن راعية تقليدية مزمنة لاعتداءات تل أبيب، وشريكة في تنفيذها، كما حصل، خصوصاً، منذ بدء العدوان الحالي على غزة.

ركّز الموقف الإيراني على رفض استفراد المقاومة في غزة (بخلاف الموقف الأميركي الذي تحرّك تحت شعار «عدم توسيع المعركة» لضمان الاستفراد)، من جهة، وبالحرص على على إبراز محورية الحضور والعامل الفلسطينيّين في الصراع، والسعي إلى تعطيل محاولة تصويره صراعاً إسرائيلياً إيرانياً، سيستدرج، بالضرورة، حينها، لاعبين آخرين، إقليميين ودوليين: أبرزهم الولايات المتحدة الأميركية! برز هذا الحرص في الحقل الإعلامي، حيث غابت تعبيرات تردّدت في السابق، على لسان مسؤولين عسكريين إيرانيين، حول «نفوذ» طهران في بيروت ودمشق وغزة وصنعاء وبغداد، ما كان يؤشر إلى خلل في المقاربة، وإثارة لبعض الحساسيات، ويصبح مادة استغلال من قبل واشنطن وتل أبيب والمتواطئين والمطبّعين العرب.

> ينبغي أن ينطلق الردّ من حاجات وشروط تطوير كل المواجهة (بما في ذلك التخلّص من النواقص والثغرات)، لا من الجانب العسكري فقط

أدّى العجز الإسرائيلي عن الوفاء بالتعهدات التي التزمت بها حكومة نتنياهو، بتحقيق «أهداف الحرب» على غزة، مقابل الحصول على دعم كامل سياسي وعسكري من قبل واشنطن وفريقها، إلى استطالة أمد الحرب. تعاظمت الخسائر والأخطاء الإسرائيلية. لجأت القيادة المتطرفة برئاسة نتنياهو، إلى تصعيد مجنون في القتل والتدمير، بحثاً عن انتصار مفقود. هذا فيما كان العالم يتابع، بذهول، الجرائم الصهيونية العمياء، وبالمقابل، الصمود الأسطوري الفلسطيني: قيادة ومدنيين، «قطاعاً» و«ضفة»، ما حوّل العجز الصهيوني إلى مأزق، انكشف بسببه الكيان بوصفه قوة بطش وإجرام واحتلال وإبادة وليس «واحة للديموقراطية» كما كانت تُصوّر دولة الاغتصاب من قبل الإعلام الغربي خلال عقود!

صادف ذلك أن الإدارة الأميركية، المنهمكة في التحضير للانتخابات الرئاسية (وسط تقدّم جدّي للرئيس السابق)، والمنهكة مع حلفائها الأوروبيين بإخفاقات أداتها الأخرى في أوكرانيا، بدأت تضيق ذرعاً بالتأثيرات السلبية لفشل حكومة إسرائيل ولوحشية أساليبها التي أثارت حملة شجب عالمية، وفي الولايات المتحدة نفسها، ضد حكومة تل أبيب والإدارة الأميركية، بالدرجة الأولى.

في هذا المناخ الذي شهد، أيضاً، تفاقم التناقضات في الداخل الإسرائيلي، وتصاعد الاحتجاجات ضد الحكومة ورئيسها المتهم بالإخفاق، وبتغليب مصالحه الشخصية، وبتأزيم العلاقة مع واشنطن... حصل الهجوم على القنصلية الإيرانية في العاصمة السورية. أثار ذلك، بسبب طبيعة الاستهداف، وما حمله من التصعيد والاستفزاز، وما سبّبه من الخسائر، أسئلة كبيرة حول التداعيات على مجمل الصراع، وخصوصاً حول الردّ الإيراني: كيف ومتى؟؟ ولقد جرى التركيز، عمداً، في جزء من التساؤلات، على الجانب العسكري، دون سواه: وذلك بغرض التشكيك والإحراج والاستدراج وحتى التشفّي. جرت الاستفادة، في هذا الصدد، مما علق في الأذهان، من مبالغات في إطلاق تهديدات، شارك فيها، «بقوة»، الجانب الإيراني. قبل ذلك وبعده، كانت لبعض المنظمات الفلسطينية حصتها، التي توعّدت عبرها بـ«رد مزلزل» لم يُعثر له على أثر مهم، قبل عملية «طوفان الأقصى»، رغم استمرار النضال الفلسطيني تصدياً للاعتداءات الإرهابية الصهيونية في مخيمات الضفة، وقبل ذلك في غزة نفسها.

استُحضرت المبالغات السابقة، فور حصول الغارة، من قبل كل الفريق الأميركي والدائرين في فلكه، كان لبعض اليساريين، في هذا الحقل، إسهام بارز! وهو لا يقع في ما وصفه لينين بـ«مرض الطفولية اليساري»، بل في الإمعان في سلوكيات والتزامات ومواقف تغرف، بلا تحفظ، من القاموس الرائج لأقصى اليمين. إنها من أعراض حالة اليساري «المتحوّل» الذي يصبح، أحياناً، أحد أسوأ أنواع اليمين عندما تتداخل وتتفاعل في صياغة رأيه وسلوكه عدة عوامل: اليأس العصابي، التشاوف والاستعلاء على الوقائع والحقائق. الاصطفاف الذي يمليه الانتفاع والتملق والتبرؤ من الماضي... فكيف إذا حصل ذلك في مناخ تراكم الخيبات السياسية، والأزمات الاقتصادية الطاحنة والفقر والنهب والإفلات من العقاب من قبل مُسبّبيها.

مطالبة إيران بالردّ هي أمر صحيح. لكن أي ردّ؟ أولاً، لا ينبغي الانزلاق إلى التسرّع الذي قد يؤدّي إلى مضاعفة الخسائر بدل إلحاقها بالعدو. ثانياً، ينبغي أن ينطلق الردّ من حاجات وشروط تطوير كل المواجهة (بما في ذلك التخلّص من النواقص والثغرات)، لا من الجانب العسكري فقط. لقد أعادت عملية «طوفان الأقصى»، بالإجمال، القضيّة الفلسطينية إلى موقعها الطبيعي كقضية تحرّرية كبرى يحملها شعب مظلوم ومكافح، تدعمه قوى تحرّرية تناضل من أجل أهداف مشابهة في منطقة عانت، ولا تزال، من التسلط والهيمنة الاستعماريّيْن. إنه كفاح تحرّري يثير الإعجاب. وهو يغتني حالياً، بالمزيد من الأبعاد الشعبية والسياسية الدولية، وبالدعم والتعاطف، بما يضع الصهاينة وحماتهم في قفص الاتهام، بالإجرام والإبادة والهمجية.

* كاتب وسياسي لبناني

طوفان الأقصى

الضغوط الدولية تحيي المفاوضات: أميركا تستعجل التهدئة

تدور إسرائيل في حربها على غزة، في حلقة مفرغة من دون توقّف، بينما تزداد الضغوط والتحديات عليها من كل حدب وصوب. ومع أن ضغوط الولايات المتحدة على الكيان، لا تزال كلاماً أكثر منها أفعالاً، إلا أن المناخ الدولي العام، أخذ في التحوّل أكثر فأكثر، ويوماً بعد آخر، في اتجاه معارض لما ترتكبه إسرائيل من فظائع في حربها على غزة، وخصوصاً قتل عمّال الإغاثة الأجانب قبل أيام. وهو ما حذّر منه الرئيس الأميركي جو بايدن، رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو، بالأمس، عندما أخبره أن العديد من حلفاء الولايات المتحدة أعلموها عن تغيّر في موقفهم من إسرائيل على خلفية الحرب. وكذلك فعل المرشّح الجمهوري للرئاسة الأميركية، الرئيس السابق دونالد ترامب، الذي حذّر نتنياهو علناً، من أن «إسرائيل تخسر بكل تأكيد في حرب العلاقات العامة». أيضاً، برز هذا المناخ في «مجلس الأمن الدولي»، أمس، عبر تصريحات مندوبي الدول الأعضاء. وبعدما أعلنت فرنسا قبل أيام عن مسعاها لطرح مشروع قرار للتصويت، يقضي بمطالبة إسرائيل بوقف إطلاق النار في غزة، من دون ربطه بمسألة الأسرى، خرجت المندوبة البريطانية في المجلس لتؤكد أن «على إسرائيل إجراء تغييرات كبيرة وملموسة لوضع آلية فعالة لمنع الصدام فوراً»، وأن «حماية المدنيين تحتاج إلى تغييرات كبيرة وفورية في الحملة العسكرية الإسرائيلية». وفي الاتجاه نفسه، قال المندوب الروسي إن «إسرائيل تواصل شنّ أسوأ عملية عسكرية لها على الرغم من قرار مجلس الأمن وقف الحرب»، مشيراً إلى أن «لا بديل من وكالة الأونروا في قطاع غزة». أما المندوب الصيني فشدّد على أن «على إسرائيل التوقف عن استهداف المنظمات الإنسانية والعاملين بها في غزة»، داعياً إلى «فتح كل المعابر البرية مع قطاع غزة».

(أ ف ب)

وبعد الاتصال الهاتفي «المتوتر والصعب»، بين بايدن ونتنياهو، أول من أمس، بحسب وصف الإعلام الإسرائيلي، وفي ظلّ الضغوط الدولية المتزايدة، انعقدت جلسة «الكابينت السياسي والأمني»، واستمرّت لساعات طويلة، قبل أن تخلص إلى أن «الجيش الإسرائيلي مستعدّ لأي تطور ضدّ إيران، سواء في الدفاع أو في الهجوم»، وإلى أن «مجلس الوزراء حوّل رئيس الوزراء ووزير الدفاع والوزير غانتس اتّخاذ خطوات فورية لزيادة المساعدات الإنسانية للسكان المدنيين في قطاع غزة». وفي ضوء ذلك، «ستسمح إسرائيل بإيصال المساعدات الإنسانية بشكل مؤقت عبر ميناء أشدود ومعبر إيرز، وزيادة المساعدات الأردنية عبر معبر كرم أبو سالم». ومباشرةً، لاقت القرارات الإسرائيلية تفاعلاً في واشنطن، حيث أعلن «مجلس الأمن القومي الأميركي»، ترحيبه بـ«الخطوات التي أعلنتها الحكومة الإسرائيلية بناءً على طلب الرئيس بايدن»، مشدداً على وجوب تنفيذها «بشكل كامل وسريع». وأضاف المجلس أن «سياستنا بشأن غزة ستتحدّد عبر تقييمنا لتنفيذ إسرائيل الخطوات التي أعلنتها»، مبدياً استعداد واشنطن «للتنسيق مع إسرائيل والأردن ومصر والأمم المتحدة لضمان تنفيذ هذه الخطوات».

> يُتوقّع وصول مدير «الاستخبارات المركزية الأميركية» إلى القاهرة «في مسعى للتوصل إلى انفراجة في اتفاق بشأن الرهائن»

وفي موازاة ذلك، وبعد طلب بايدن من نتنياهو، منح الوفد الإسرائيلي صلاحيات واسعة للتوصّل إلى صفقة تبادل مع حركة «حماس»، في أسرع وقت، يُتوقّع وصول مدير «الاستخبارات المركزية الأميركية» إلى القاهرة «في مسعى للتوصل إلى انفراجة في اتفاق بشأن الرهائن»، بحسب موقع «أكسيوس» الأميركي. وبحسب المعلومات الآتية من القاهرة، فقد أجرى مسؤولون مصريون خلال اليومين الماضيين اتصالات مكثفة مع نظرائهم الأميركيين، لنقاش مسار التهدئة، وسط بداية بحث إمكانية تنفيذ صفقة جديدة لإدخال أدوية إلى قطاع غزة. وأفاد مسؤولون مصريون شاركوا في الاتصالات، «الأخبار»، بأن وقف إطلاق النار الفوري سيخلق لدى الاحتلال مرونة لتقديم مزيد من التنازلات خلال المرحلة المقبلة»، مشيراً إلى «إمكانية استئناف المفاوضات خلال يومين في القاهرة».

ومن المرتقب أن يتلقّى الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، وأمير قطر، تميم بن حمد، اتصالات هاتفية خلال الأيام المقبلة من الرئيس الأميركي لبحث مسار المفاوضات، علماً أن «مسؤولين من الخارجية الأميركية سيتواجدون في القاهرة خلال الأيام المقبلة، لبحث قضايا عدة مرتبطة بالجانب السياسي»، وفقاً لمصادر «الأخبار». وبحسب مسؤول مصري، فإن «استمرار مسار الحرب بهذه الطريقة، سيؤدّي بالمنطقة إلى مزيد من التصعيد الذي سيكون من الصعب التعامل معه عند وصوله إلى درجة محددة».

وعلى خط موازٍ، أبلغت إسرائيل الجانب المصري، أمس، بقرارها السماح بإدخال شاحنات من المساعدات إلى سكان شمال قطاع غزة. وجاء الإبلاغ الإسرائيلي ضمن مسار التنسيق مع القاهرة، حول كمية المساعدات التي ستدخل إلى القطاع، وهو ما ناقشه المسؤولون المصريون مع نظرائهم الأردنيين والإماراتيين. كما علمت «الأخبار» أن جانباً من النقاشات بين المسؤولين المصريين والأردنيين، تناول ما سمّوه «دعوات حركة حماس إلى التظاهر» في الأردن. كما ناقش الطرفان «اتخاذ مواقف أكثر حدّة في القدس رغم منظمة «إيباك»، وضمّه إلى عدد من المشرّعين الجمهوريين، جدّد فيها معارضته مقاربة الإدارة الأميركية الحالية في شأن «حل الدولتين»، والذي تعارضه الغالبية الساحقة من الإسرائيليين»، معتبراً أن «هناك محاولة لإجبارنا على إقامة دولة فلسطينية ستكون ملاذاً آخر للإرهاب، على غرار حكومة حماس في غزة».

وفي هذا الجانب، توضح صحيفة «نيويورك تايمز» أن انتقادات بايدن لنتنياهو كان لها «تأثير ملتبس» على الأخير، ولا سيما أن الرجل يجد نفسه بين فريق داعم له يحثّه على مواصلة الحرب ومقاومة الضغوط الدولية لوقفها بدعوى أنها «مصلحة قومية إسرائيلية»؛ وآخر معارض يتّهمه بـ«تغليب حسابات سياسية داخلية ضيقة»، على حساب الاستجابة لمطالب ذوي الأسرى الإسرائيليين بإبرام صفقة تبادل مع «حماس». ووفق الصحيفة، فإن نهج رئيس الحكومة الإسرائيلية حيال حرب غزة «يحدوه التردّد، حيث يبدو أكثر ميلاً إلى إبقاء جميع الخيارات مفتوحة أمامه، من خلال سعيه إلى تأخير القرارات لأطول وقت ممكن»، لافتةً إلى أن الاستراتيجية المشار إليها «باتت تحت مجهر المساءلة (الدولية) على نحو أكبر، بسبب حجم المخاطر المصاحبة لها، وخصوصاً ما يتعلّق منها بتحذيرات الخبراء من خطر مجاعة يلوح في الأفق في غزة، واتهامات لإسرائيل بارتكاب إبادة جماعية هناك»، فيما «أخذ الجدل في شأن نوايا نتنياهو طابعاً أكثر حدّة واحتداماً، بسبب الغارة الإسرائيلية التي أسفرت عن مقتل سبعة من عمال المسؤولين الأميركيين طلبوا من نظرائهم المصريين «ضرورة إقناع المسؤولين القطريين بالاستمرار في التفاوض، والضغط على المقاومة، وتجاهل تصريحات عدد من الوزراء الإسرائيليين»، فيما اعتبر الجانب المصري أن «طلب الحرب، يوآف غالانت، والوزير بيني غانتس، «اتخاذ خطوات فورية لزيادة المساعدات الإنسانية للسكان المدنيين في غزة»، لـ«منع حدوث أزمة إنسانية، وهي خطوات ضرورية لضمان استمرار القتال وتحقيق أهداف الحرب»، من خلال بعض المعابر البرية.

لكن ما جرى الإعلان عنه، سرعان ما عاكسه وزير الأمن القومي، إيتمار بن غفير، وهو أحد أعضاء «الكابينت»؛ إذ نفى صحة بيان نتنياهو، ووصفه بأنه «ببساطة، غير صحيح»، وكشف أن أعضاء «الكابينت» لم يصوّتوا على «تخويل غالانت وغانتس» بشأن زيادة المساعدات الإنسانية لغزة. وأكد بن غفير أنه وغيره من الوزراء «عارضوا الاقتراح، ومن المؤسف أن رئيس الحكومة تجنّب طرحه للتصويت». واعتبر أن «الطريقة الصحيحة لإعادة الرهائن هي وقف إدخال المساعدات إلى غزة، واشتراط الحصول على خطوات إنسانية مقابل خطوات إنسانية. ومن المؤسف أنه بدلاً من الدخول إلى رفح، هناك من يفضّل الانخراط في إدخال معدات إلى غزة تنتهي مباشرة في أيدي حماس». وختم بن غفير بالدعوة إلى «اجتياح فوري لرفح». وفي وقت لاحق، انتقد بن غفير قرار إقالة الضباط، معتبراً أنه «تخلٍّ عن المقاتلين في خضم الحرب وخطأ فادح ينمّ عن ضعف»، مضيفاً أنه «حتى لو كانت هناك أخطاء في التعرف على هوية الهدف فيجب دعم الجنود لا أن نقيم لهم محكمة ميدانية».

وتعقيباً على هذا الجدل، أكدت «القناة 12» العبرية أن «الكابينت صوّت ليلة أمس على قرار زيادة إدخال المساعدات إلى غزة قبل وصول بن غفير إلى الاجتماع»، ليسارع الأخير إلى القول: «لقد صوّتوا على هذا القرار قبل وصولي، على الرغم من أنهم كانوا يعلمون أنني كنتُ في اجتماع أمني»، في تراجع عن بيانه الأول. وأفادت قناة «كان» العبرية، بدورها، بتحذير المسؤولين الأمنيين ومسؤولي وزارة الخارجية الذين كانوا حاضرين في اجتماع «الكابينت»، الوزراء، من أنهم تلقّوا أخيراً «إشارات واضحة» من نظرائهم في الولايات المتحدة وأوروبا مفادها أن إسرائيل ستواجه عقوبات غير مسبوقة ضدها، وحتى حظراً لتصدير الأسلحة إذا لم تتم زيادة المساعدات الإنسانية للقطاع على الفور.

استجابة أولية للضغوط: إسرائيل «تحني رأسها»

رام الله ـ **أحمد العبد**

ألقت المكالمة «العاصفة» بين الرئيس الأميركي جو بايدن، ورئيس وزراء الاحتلال بنيامين نتنياهو، بثقلها على وسائل الإعلام الإسرائيلية التي أشبعت الموضوع تحليلاً ونقاشاً، إذ حمل ما أُعلن عن مضمون المكالمة مؤشرات إلى عدم رضى في مؤسسات القرار الأميركي عن أداء نتنياهو.

> اتّخذت إسرائيل عدة قرارات بدت أنها استجابة سريعة لطلبات بايدن

وعلى رغم أن الولايات المتحدة لا تزال حريصة على إظهار دعمها «الاستراتيجي» لإسرائيل، إلا أن مسار المعركة وما حمله من إخفاقات، وتداعياتها الإنسانية والدولية على صورتي واشنطن و«تل أبيب» ومكانتهما، تُحمل إدارة بايدن على رفع سقف خطابها، والتلميح إلى إمكانية تغيير سياستها، في حال عدم استجابة حليفتها لمطالبها، ولا سيما في الجانب الإغاثي والإنساني. والواقع أن ما وصل بالتململ الدولي إلى ذروته، وصولاً إلى المكالمة الهاتفية الأخيرة، هو استهداف إسرائيل طواقم الإغاثة الدولية في غزة، والذي حرّك دول العالم لممارسة ضغوط على الاحتلال، وأشغل خطوط هواتف زعماء تلك الدول، بينما عملية عسكرية استمرت لأسابيع في أكبر مجمع طبي في غزة، قتل خلالها جيش العدو مئات الأطفال والنساء، لم تحرك أحداً. وفي هذا السياق، قالت صحيفة «يديعوت أحرونوت» إن «وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، حذّر من تغير في اتجاه السياسية الأميركية، لكنّ الولايات المتحدة لم تهدد بشكل صريح في موضوع الأسلحة. هذه هي الخطوات الحرجة التي قد تُتخذ». وأضافت الصحيفة أن «مكالمة بايدن- نتنياهو شملت أقوالاً صعبة وإشكالية بالنسبة إلى إسرائيل، وتحذيراً حول الوضع الإنساني في غزة»، مشيرة إلى أن «بايدن عبّر عن غضب حقيقي بعد مقتل عمال الإغاثة الدولية، وسط إحباط وياس، لكنه طلب التوصل إلى صفقة في الوقت الذي ترفض فيه حماس» الصفقة المطروحة.

ومع ازدياد منسوب الضغوط الأميركية، اتخذت إسرائيل، بعد الكشف عن فحوى المكالمة الهاتفية، عدة قرارات بدت أنها استجابة سريعة لطلبات بايدن، إذ أعلن الجيش الإسرائيلي أنه يأخذ «على محمل الجد الحادث الخطير الذي أودى بحياة 7 عمال إغاثة أبرياء ونعرب عن حزننا للخسارة»، مشيراً إلى أن الاستهداف «نتج من خلل وخطأ في التحديد واتخاذ القرار بشكل مخالف لأوامر إطلاق النار»، وأن «نتائج التحقيق الداخلي تظهر أنه كان من الممكن منع» حادث الاستهداف. وفي السياق نفسه، أعلن الجيش إقالة رئيس هيئة الأركان هرتسي هليفي، قائد لواء «ناحال» (أحد ألوية النخبة المشاة)، وضابط آخر برتبة عقيد، فضلاً عن تنويخ قائد المنطقة الجنوبية، وقائد الفرقة 162 المدرّعة، وقائد لواء. ويُضاف إلى ذلك، اتخاذ الإنسانية إلى قطاع غزة، واشتراط لامتصاص الضغوط الدولية عقب الهجوم على قافلة منظمة «ورلد سنترال كيتشن» في منطقة دير البلح. وبحسب ما صدر عن مكتب نتنياهو، فقد خوّل «الكابينت» كلاً من بنيامين نتنياهو، ووزير الحرب، يوآف غالانت، والوزير بيني غانتس، «اتخاذ خطوات فورية لزيادة المساعدات الإنسانية للسكان المدنيين في غزة»، لـ«منع حدوث أزمة إنسانية، وهي خطوات ضرورية لضمان استمرار القتال وتحقيق أهداف الحرب»، من خلال بعض المعابر البرية.

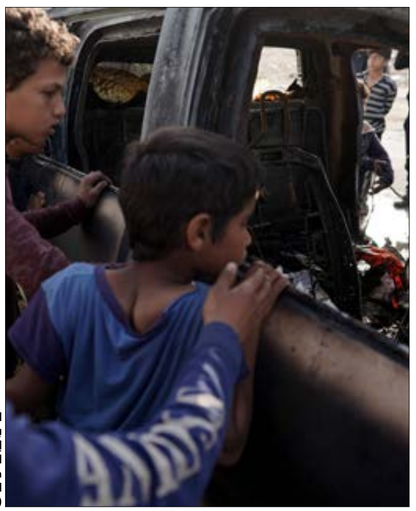

الواقع أن ما وصلت إليه ذروته في التململ الدولي على خلفية استهداف طواقم الإغاثة الدولية في غزة (أ ف ب)

ارتدادات «هَبّة» بايدن:
الغضب الأميركي لا يطعم خبزاً

حَضر خروبي

أعادت واقعة «المشاحنة الهاتفية» الأخيرة بين الرئيس الأميركي جو بايدن، ورئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو، تسليط الضوء على التباينات بين الحليفين، المتصلة منها بحرب غزة، ولا سيما أن الأول تجاهل الإشارة خلال المكالمة إلى لازمة «حقّ إسرائيل في الدفاع عن نفسها». فالمواقف الصادرة عن بايدن، في معرض الاتصال الاحتجاجي على مجزرة دير البلح، بلغت حدّتها مستويات غير مسبوقة، لامست حدّ التلويح بوقف الدعم العسكري عن إسرائيل، ودعوتها إلى «وقف فوري لإطلاق النار»، فضلاً عن التحذير من أن سياسة الولايات المتحدة المستقبلية تجاه غزة «ستتحدّد وفقاً لتقييمنا للإجراء الفوري الذي ستتّخذه إسرائيل» في شأن الخطوات المطلوبة أميركياً، وهي مواقف عاد وكرّرها وزير خارجيته، أنتوني بلينكن، الذي هدّد بإجراء «تغيير في سياستنا حيال غزة»، في حال واصلت حكومة نتنياهو تجاهل هواجس بلاده.

واقعة «المشاحنة الهاتفية»: استجابة إسرائيلية ملتبسة

سارعت حكومة نتنياهو إلى الإعلان عن فتح معبر إيريز، وميناء أسدود، شمالي القطاع، «بصورة مؤقتة» لإدخال المساعدات إلى غزة، نزولاً على تفادي اتّخاذ أيّ قرارات»، لافتاً إلى أنه «لا يريد إجراء أيّ انتخابات، أو اتّخاذ القرارات التي من شأنها أن تدفع في هذا الاتجاه»، مع تحذيره من أن «إسرائيل لا تستطيع المضي قدماً في حربها (على غزة) رغم أنف الولايات المتحدة». بدورها، تؤكد المحلّلة السياسية الإسرائيلية، داليا شندلين، أن نتنياهو ليس في عجلة من أمره للسيطرة على مدينة رفح، لأن الخطوة ستقرّبه من اتّخاذ القرار بإنهاء الحرب، مشيرة إلى أنه «يحتاج إلى أكبر وقت ممكن حتى يتمكّن جيشه من مواصلة حملته لشلّ قدرات حماس (التنظيمية والعسكرية)، وهو يريد أن تستمر الحرب، لأنه بذلك، سيتمكّن من الإبقاء على ائتلافه الحكومي متماسكاً، وتأخير أيّ قرار في شأن تسليم السلطة في غزة إلى أيّ جهة أخرى». وفي السياق نفسه، يحذّر محلّلون من أن الاستراتيجية التي يتبعها نتنياهو، يمكن أن تأتي بنتائج عكسية بسهولة، وتحديداً لناحية تعرّض إسرائيل لعمليات

> عاد نتنياهو إلى اتّباع قواعد اللعبة الحقيقية المألوفة لديه، والتي تقوم على تفادي اتّخاذ أيّ قرارات

انتقامية أكبر من حزب الله وإيران، الأمر الذي قد يؤدي إلى تورّطها في عمليات عسكرية أوسع. ومن بين هؤلاء، كوبلو، الذي يقول إن «العديد من العقبات التي تعترض أيّ طريق للخروج، تحتاج إلى إزالتها في وقت واحد، وليس بطريقة مجزّأة».

هل تبارح أميركا أدواجها؟

حملت المواقف المستجدّة الصادرة عن الإدارة الأميركية التباسات لا تقلّ شأناً عن تلك المحيطة بردود الفعل الإسرائيلية عقب مكالمة بايدن - نتنياهو. وعلى رغم غياب مؤشرات جدية حول نيّة بايدن قطع المساعدات العسكرية عن إسرائيل، فقد كشف مسؤولون أميركيون، لـ«نيويورك تايمز»، أن الرئيس تمكّن من إقناع الجانب الإسرائيلي بـ«الموافقة على إعطاء التزامات إضافية، تشمل وضع المزيد من الضوابط للحدّ من الخسائر في صفوف المدنيين، إضافة إلى تسهيل دور وتعزيز صلاحيات مفاوضيه المشاركين في المباحثات (غير المباشرة مع حماس)، بما يمكّنهم من دون تأخير من إبرام اتفاق لوقف إطلاق النار المؤقت مقابل إطلاق سراح الرهائن». وكشفت الصحيفة أن «حلفاء إسرائيل الدوليين، بمن فيهم الولايات المتحدة، مارسوا في الأونة الأخيرة ضغوطاً على نتنياهو بهدف حثّه على التأسيس لحالة من الاستقرار في غزة، عبر نقل السلطات هناك إلى السلطة الفلسطينية، وهي خطوة يأمل المسؤولون الأميركيون في أن تكون البداية لانطلاق الجهود من أجل إقامة دولة فلسطينية». أيضاً، استعرضت هواجس الولايات المتحدة إزاء تبعات استمرار الحرب سواء على «مستقبل تطبيع العلاقات الدبلوماسية بين إسرائيل والسعودية، أو لناحية إمكانية نشوب احتجاجات واضطرابات في الدول العربية المتحالفة معها، مثل الأردن»، فضلاً عمّا بات ينجم عنها من «اختلالات على مستوى الشرعية الدولية لإسرائيل»، ومن «(مخاطر) تطوّر الحرب إلى صراع إقليمي».

بدورها، كشفت «وول ستريت جورنال» أن ضغوط بايدن صبّت في اتّجاه دفع نتنياهو «إلى التوصل إلى تسوية مع حماس» تتيح عودة الفلسطينيين إلى شمال قطاع غزة. وفي الاتجاه عينه، أوجزت شبكة «سي إن بي سي» الدوافع الكامنة خلف تغيّر لهجة الرئيس الأميركي تجاه إسرائيل، موضحة أن أولها يتّصل بمقتل عمال الإغاثة في الغارة الإسرائيلية على دير البلح، وثانيها يتعلّق بمناشدة عقيلة الرئيس الأميركي، جيل بايدن، زوجها باستمرار وقف الحرب، فيما يتمحور ثالثها حول الحالة الاحتجاجية المتنامية ضدّ الرئيس لدى مواطنيه من أبناء الجالية المسلمة.

إزاء ذلك، يؤكد الخبير في الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني في جامعة ماريلاند، شبي تلحمي، غياب أيّ تغيير حقيقي في السياسة الأميركية على المدَيين المنظور والبعيد، موضحاً أن «بايدن لم يذهب بعيداً في مقاربة إسرائيل»، ومشدّداً على أن «تل أبيب اكتسبت المزيد من الجرأة بسبب استعداد الولايات المتحدة لتزويدها بمزيد من الأسلحة، وإحجامها في الوقت نفسه عن إدانة إسرائيل بقوّة أكبر». ورأى تلحمي أن بايدن «قدّم شيكاً على بياض لحكومة إسرائيلية يمينية متطرّفة»، شارحاً أنه «عندما لا تكون هناك مساءلة، أو عواقب تتحمّلها الحكومة الإسرائيلية جرّاء أفعالها، فما هو الحافز الذي يدفعها إلى عدم القيام بما تفعله في غزة؟». هذه النظرة التشاؤمية لتلحمي، يشاطره إيّاها مسؤولون أميركيون سابقون، من بينهم بين رودس، النائب السابق لمستشار الأمن القومي خلال عهد الرئيس الأسبق باراك أوباما، الذي قال إن «الحكومة الأميركية لا تزال تستمرّ في دعمها لسياسات إسرائيل عبر تزويدها بقنابل وذخائر زنتها ألفا رطل»، محذّراً من أنه «طالما أنه ليست هناك عواقب جوهرية لتلك السياسات، فإن الغضب لن يفعل شيئاً، ولا سيما أنه بات من الواضح أن بيبي لا يكترث لما تقوله الولايات المتحدة، بل يكترث لما تفعله على أرض الواقع». وهو الموقف نفسه الذي تبنّاه جون فافريو، معدّ الخطابات للرئيس أوباما، إذ اعتبر أن «إعراب بايدن عن غضبه (حيال نتنياهو) في الكواليس، لا يحظى بالصدقية والتقدير، في وقت يرفض فيه الرئيس استخدام نفوذه لمنع الجيش الإسرائيلي من قتل وتجويع الأبرياء في غزة»، مضيفاً أن هذا النهج يجعل منه رئيساً «ضعيفاً».

طوفان الأقصى

إيران تشيّع «شهداء القنصلية»
إجماع على ردّ متناسب

طهران ـ **محمد خواجوني**

شهدت العاصمة الإيرانية، طهران، أمس، وبالتزامن مع مسيرات "يوم القدس العالمي"، تشييع جثامين عناصر الحرس الثوري السبعة الذين قُتلوا في غارة جوية إسرائيلية على القنصلية الإيرانية في دمشق يوم الإثنين الماضي، فيما تستمرّ التكهّنات حول الردّ الإيراني المحتمل على هذا الهجوم. وهتف الآلاف اليوم الذين تجمّعوا في مراسم التشييع ومسيرات "يوم القدس" التي أقيمت العام الحالي تحت عنوان "طوفان الأحرار"، شعار "الموت لأميركا" و"الموت لإسرائيل"، وطالبوا بالثأر لدماء مَن قُتلوا في الهجوم على القنصلية، ومن بينهم القيادي الكبير في "الحرس"، العميد محمد رضا زاهدي. ورُفعت في المسيرة لافتة كبيرة كُتبت عليها عبارة "سنجعل الصهاينة يندمون"، والتي قالها المرشد الأعلى الإيراني، علي خامنئي، في أعقاب الضربة. وبحسب تصريحات المسؤولين، والنقاشات الدائرة في البيئة السياسية والإعلامية الإيرانية، يبدو أن الجمهورية الإسلامية قرّرت إظهار ردّ فعل عملي على الهجوم الإسرائيلي الأخير، ليس واضحاً بعد كيف ومتى سيتمّ تنفيذه. وفيما يتوقّع البعض أن تستهدف إيران مناطق في الأراضي المحتلّة، انطلاقاً من أراضيها، بصواريخ بعيدة المدى، يقول آخرون إن الردّ سيكون من دول أخرى في المنطقة بهدف تقليل العواقب.

> يبدو أن الجمهورية الإسلامية قرّرت إظهار ردّ فعل عملي على الهجوم الإسرائيلي الأخير، ليس واضحاً بعد كيف ومتى سيتمّ تنفيذه

وفي خطابه لمناسبة "يوم القدس العالمي"، شدّد القائد العام لـ"الحرس الثوري"، اللواء حسين سلامي، على أن "أيّ اعتداء ضدّ إيران لن يبقى من دون ردّ ولا يمكن الكيان الصهيوني التهرّب من نتائج ما يقوم به"، مشيراً إلى أن الأخير "يعيش اليوم على الإنعاش الأميركي والغربي"، وأنه "إذا توقف هذا الإنعاش، سيسقط هذا الكيان. هذا اليوم ليس ببعيد". ومن جهته، هدّد وزير الدفاع الإيراني، محمد رضا أشتياني، خلال فعاليات "يوم القدس"، بأن "كيان الاحتلال الإسرائيلي سيتلقّى صفعة قوية"، على خلفية اغتياله المستشارين الإيرانيين في دمشق. وفي سياق متصل، وعلى هامش المسيرة في طهران، أكّد نائب قائد الجيش الإيراني، الأدميرال حبيب الله سياري، أن "ردّنا على الصهاينة سيكون صعباً". وبدوره، قال مساعد الرئيس الإيراني، محمد جمشيدي، عبر منصة "إكس": "حذّرنا واشنطن من أن لا تقع في فخّ نتنياهو وكانت الرسالة: تنحّ جانباً حتى لا تتلقى ضربة". وفي هذا الإطار أيضاً، كتبت صحيفة "كيهان" القريبة من مكتب المرشد الأعلى: "لا يوجد مواطن إيراني ضدّ الردّ المتناسب على الكيان الصهيوني، لأنه يعلم أن عدم الردّ يعني تكرار هذه الجرائم. والخلاف إنّما يكون في النوع وربّما المكان والزمان وكذلك في شدّة هذا الردّ. هذا النوع من الخلافات طبيعي تماماً". وذكرت صحيفة "جوان" المقرّبة من "الحرس الثوري" أن "العدّ التنازلي للردّ الإيراني الرادع قد بدأ". ووفق المحلّل الأمني في الصحيفة، هادي محمدي، فإن "إسرائيل تسعى، بضوء أخضر من الولايات المتحدة، إلى حرب استنزاف مع فيلق القدس التابع للحرس الثوري والقضاء على قادته تدريجيّاً".

في المقابل، نقلت صحيفة "هم ميهن" عن محلّل شؤون الشرق الأوسط في طهران، جعفر قنادباشي، قوله: "كما تصرّفت إيران بشكل محسوب رداً على اغتيال الجنرال قاسم سليماني على يد الولايات المتحدة، فإنها ستفعل الشيء نفسه هذه المرّة. إيران لن تدخل لعبة إسرائيل. يريد الإسرائيليون أن تكون ردّ فعل إيران لصالحهم، لكن الجمهورية الإسلامية ستتصرّف بحكمة وعقلانية كما فعلت خلال الأشهر الستة الماضية من الحرب في غزة. وسيكون الردّ الإيراني بحيث لا يعطي إسرائيل ذريعة لتصعيد الصراع".

وتفيد تقارير مختلفة بأن إسرائيل تأخذ تهديدات إيران ضدّها على محمل الجدّ، وأنها تستعدّ لكلّ السيناريوات، ما دفعها إلى رفع حالة التأهّب تحسّباً لردّ إيراني محتمل، واستدعاء احتياطيات قواتها الجوية، فضلاً عن إلغاء إجازات الجنود. وفيما أعلنت وسائل إعلام إسرائيلية إغلاق عدد من السفارات في الخارج وإجلاء الموظفين نتيجة التهديدات الإيرانية، نفت وزارة الخارجية الإسرائيلية هذه التقارير. وفي هذا الإطار، نقلت وكالة "سبوتنيك" الروسية عن ناطق باسم الخارجية الإسرائيلية، تأكيده أن "المنشورات في الصحافة الإسرائيلية حول الإغلاق المؤقت لعدد من السفارات وإجلاء الموظفين بسبب التهديدات الإيرانية غير صحيحة". ولكن صحيفة "يديعوت أحرونوت" العبرية ذكرت، مساء الخميس، أنه تم إخلاء 7 سفارات إسرائيلية تحسُّباً للردّ الإيراني. كذلك، أفاد موقع "واينت" بأن وزارة الخارجية، وبالتشاور مع جهاز الأمن العام "الشاباك"، أمرت بالإغلاق المؤقت لعدد من البعثات الدبلوماسية في الخارج، بسبب مخاوف من تهديدات الردّ الإيراني، مشيراً إلى أن الدبلوماسيين الإسرائيليين في الخارج يشعرون بقلق بالغ ويخشون أن يصبحوا هدفاً للانتقام.

وفي الوقت نفسه، أفاد موقع "أكسيوس" الأميركي، أمس، نقلاً عن مسؤولين إسرائيليين، بأن تل أبيب أبلغت واشنطن بأنه "إذا شنّت إيران هجوماً على إسرائيل انطلاقاً من أراضيها، ردّاً على الهجوم على قنصليتها في سوريا، فإنها ستواجهه ردّاً إسرائيلياً قوياً وستقوم إسرائيل بتصعيد الصراع الحالي إلى مستوى أعلى". وقال مسؤولون أميركيون وإسرائيليون لموقع "أكسيوس"، إن "إدارة بايدن والحكومة الإسرائيلية قلقتان للغاية من أن إيران تستعدّ لهجوم وشيك"، فيما ذكر الموقع أن التقييمات والمعلومات الإسرائيلية حول الإجراءات الانتقامية المحتملة لإيران تمّت مناقشتها خلال محادثة هاتفية بين وزير الدفاع الإسرائيلي يوآف غالانت، ونظيره الأميركي لويد أوستن، مساء الأربعاء. وفي حين نفى المسؤولون الأميركيون أيّ صلة للولايات المتحدة بالهجوم على القنصلية الإيرانية، أكّد البيت الأبيض، في بيان أعقب المحادثة الهاتفية التي جرت مساء الخميس بين بايدن ونتنياهو، أن واشنطن تدعم تل أبيب "بقوّة" ضدّ ما سمّاه "التهديد الإيراني".

زفعت في المسيرة لافتة كبيرة كُتبت عليها عبارة «سنجعل الصهاينة يندمون» (أ ف ب)

انتشاء روسي بالتورط الأميركي: موسكو تغازل صنعاء

لقمان عبد الله

توظّف روسيا معركة البحر الأحمر، إعلامياً، بما يخدم دعايتها في صراعها الشامل مع الولايات المتحدة، وفي سياق دعوتها إلى عالم متعدّد الأقطاب. إذ ترى أن حركة «أنصار الله» أثبتت أنه يمكن إلحاق الضرر بما يسميه الإعلام الروسي «الديكتاتورية العسكرية للإمبراطورية الغربية»، ليس من قبل دول كبيرة كالصين وروسيا، بل من دول صغيرة كاليمن، إذا امتلكت ما يكفي من تكنولوجيا الصواريخ والطائرات المسيّرة. ويبدو أن موسكو بدأت تستعد للحضور المباشر في البحر الأحمر؛ فبعد المناورة التي أجرتها مع كل من طهران وبكين في المحيط الهندي وبحر العرب الشهر الماضي، أجرت مناورة أخرى مع إريتريا. وكانت برزت أهمية ذلك البحر بشدة في الصراع القائم حالياً بين اليمن والتحالف الأميركي - البريطاني، كما في الحروب والأزمات التي حصلت في الماضي، وبالتحديد حرب أكتوبر 1973. وسلطت وكالة «بلومبيرغ» الأميركية الضوء على الأهمية الفائقة التي يتمتع بها هذا الممر الإستراتيجي بالنسبة إلى موسكو، حيث أدّت العقوبات الأوروبية، عقب اندلاع الحرب الأوكرانية، إلى توسّع روسيا في تصدير محروقاتها إلى آسيا عبر الشريان الضيّق المذكور. من جهتها، تسعى أسمرا، من وراء إجراء تلك المناورة، فضلاً عن تمتين علاقاتها مع كل من موسكو وبكين، إلى مناكفة واشنطن بسبب موقفها المنحاز إلى إثيوبيا في النزاع الحدودي بين البلدين، وهي تريد تجميع ما تعتبره الأوراق اللازمة لإجبار أديس أبابا على القيام بترسيم نهائي للحدود وفقاً لاتفاقية الجزائر لعام 2000، وقرارات «محكمة العدل الدولية» الصادرة في العام ذاته، والتي أكدت ملكية إريتريا بعض الأراضي الواقعة تحت سيطرة إثيوبيا.

> علاقة موسكو بصنعاء تثير اهتماماً لدى مراقبين، وخصوصاً بعد إشادة الإعلام الروسي بالتصدي اليمني للعدوان الأميركي - البريطاني

وعلى ما يتضح، فإن الجانب الروسي نجح في إيجاد موطىء قدم له إلى جانب الأساطيل الغربية في البحر الأحمر، بعدما حاول بناء قاعدة عسكرية مطلة على ذلك البحر في السودان في عهد النظام السابق، قبل أن توقف الحكومة الانتقالية الحالية تلك الاتفاقية. وأثارت علاقة موسكو بصنعاء اهتماماً لدى مراقبين، وخصوصاً بعد إشادة الإعلام الروسي بالتصدي اليمني للعدوان الأميركي - البريطاني، ودعوة أحد مقدمي البرامج المشهورين في القناة الرسمية الروسية إلى تزويد حركة «أنصار الله» بأسلحة نوعية في حربها الدائرة في البحر الأحمر. غير أن مصادر مطلعة على خفايا العلاقات اليمنية - الروسية اعتبرت أن الدعاية الروسية، ولا سيما في ما يتعلق بالشأن اليمني، لها وظيفة واحدة تتمثل في الرد على الدعوات الغربية إلى زيادة تسليح «الناتو» لأوكرانيا، وليست ذات أثر حقيقي، إلى الآن، في الصراع الدائر حالياً في البحر الأحمر. وأكدت المصادر أنه ليس هناك تعاون عسكري بين صنعاء وموسكو، مضيفةً أنه رغم أن الأخيرة تقيم خطّ تواصل مباشراً مع القيادة اليمنية، إلا أن الزيارات التي قام بها موفدو الأولى إليها تُعدّ قليلةً.

في المقابل، شهدت العلاقات الروسية - السعودية، في العقد الأخير، ما اعتُبر نقطة تحوّل، بعد أن التقى ولي العهد السعودي، محمد بن سلمان، عام 2015، الرئيس فلاديمير بوتين، على هامش منتدى سانت بطرسبورغ الاقتصادي، وما أعقب ذلك من تبادل للزيارات بين الملك سلمان وبوتين. غير أن الأهم في التعاون بين الطرفين، إقامة ما يُعرف بـ«أوبك بلاس»، والتي اتفقت موسكو والرياض من خلالها على خفض إنتاج النفط عام 2016، بعد انخفاض أسعاره، علماً أن البلدين يريان في التعاون أمراً ضرورياً وحيوياً في تحقيق الاستقرار في سوق الطاقة. وزادت أهمية التنسيق بينهما في هذا المجال بعد اضطراب سوق الطاقة، وارتفاع أسعار النفط والغاز إلى مستويات غير مسبوقة، إثر فرض الدول الغربية عقوبات واسعة على روسيا بسبب حرب أوكرانيا. وعليه، رأت روسيا أن مصلحتها التوافق مع السعودية، ما فرض عليها الابتعاد عن «أنصار الله» والتصويت إلى جانب المملكة في مجلس الأمن على القرار 2216 الذي أتاح شنّ الحرب على اليمن، الأمر الذي فُهم في صنعاء على أنه انتهازية روسية قائمة على المصالح الاقتصادية بخلاف ادعاء دعم العدالة في العالم. وفضلاً عن ذلك، كان الإعلام الروسي يتبنّى السردية السعودية - الإماراتية كاملة، في تغطيته للعدوان الذي شنّه «التحالف العربي» المدعوم من واشنطن على اليمن.

أما اليوم، فلم تُحدث التحوّلات التي حصلت في المنطقة، ومنها الحرب على غزة، والانخراط اليمني فيها، إلى الآن، تحوّلاً كاملاً في الموقف الروسي، باستثناء التوظيف الإعلامي للصراع في البحر الأحمر من زاوية الغرق الأميركي فيه، فيما يبقى المحرّك الأساسي للدبلوماسية الروسية دائماً هو تعزيز العلاقة مع الرياض، وتظلّ موسكو تخشى من أن يؤدي التواصل مع صنعاء إلى إحداث ضرر في تعاونها مع السعودية. وكان القائم بأعمال السفير الروسي في اليمن آخر ممثّل أجنبي يخرج من العاصمة اليمنية عام 2017، إثر مقتل الرئيس اليمني السابق، علي عبد الله صالح؛ وقد كشفت مصادر سياسية وأمنية في صنعاء في حينه أن وجود القائم بالأعمال كان مرتبطاً بوجود صالح، مشيرة إلى أن روسيا لعبت دور الوسيط بين الأخير والسعودية ودخلت في صفقة مع «التحالف العربي»، لكنها فشلت بفضل يقظة الأجهزة الأمنية والعسكرية اليمنية، ومن وقتها صارت الرياض مقراً للسفارة الروسية بدل الأخيرة.

الدنمارك تسحب مدمّرتها: شواهد فشل كامل

صنعاء ـ **رشيد الحداد**

وسط تصاعد هجمات قوات صنعاء ضد السفن العسكرية الأجنبية المعادية في البحر الأحمر، سحبت الدنمارك، المدمّرة "إيفر هويتفيلت"، أخيراً، من منطقة الأشتباكات قبالة مضيق باب المندب، بعد نحو شهر من مشاركتها في تحالف "حماية الازدهار" بقيادة أميركا. وشكّك أكثر من مصدر عسكري في صنعاء، في حديث إلى "الأخبار"، في الرواية الدنماركية التي أرجعت سحب المدمّرة المزوّدة بأنظمة دفاع جوي متطورة، بشكل طارئ، إلى تعرّضها لخلل فني. وأشارت المصادر إلى أن المدمّرة، التي بدأت عملياتها في البحر الأحمر إلى جانب البارجة الأميركية "يو إس إس كارني" قبالة باب المندب في الرابع من شباط الماضي، تعرّضت لأكثر من هجوم غير معلن من قبل قوات صنعاء البحرية بعد نحو أسبوع من بدء عملياتها التي نُفّذت أولاها في التاسع من آذار الماضي، تلته عملية هجومية أخرى أدت إلى أضرار كبيرة فيها وأخرجتها عن الجاهزية. وقالت إن "إيفر هويتفيلت" ظلّت خلف البارجة الأميركية، وإلى جانبهما سفن عسكرية صغيرة. ولم تستبعد أن تكون قيادتها قد أجرت صيانة سريعة في إطار الترتيبات لسحبها من دون إعلان مسبق، خشية تعرّضها لهجمات إضافية، من جانب، ولإخفاء فشلها في التصدي للهجمات اليمنية، في إطار الحفاظ على سمعة البحرية الدنماركية، من جانب آخر. وفي تعليقه على ذلك، اعتبر عضو "المجلس السياسي الأعلى"، محمد علي الحوثي، الإعلان إنجازاً جديداً للقوات البحرية اليمنية. وأشار في بيان إلى أن "هذا الانسحاب يأتي بعد أسبوع من سحب بريطانيا المدمّرة ريتشموند من البحر الأحمر".

على الرغم من الروايات المتضاربة، نشرت مشاهد لقواتها وهي في حالة تصدٍّ لهجمات صنعاء، فيما كانت كل منظومات الدفاع الجوي التابعة للمدمّرة تعمل بشكل اعتيادي. إلا أن موقع "أولفي" الدنماركي المتخصص في شؤون الدفاع، تحدّث عن خلل فني أصاب منظومة الدفاع الجوي والرادارات في "إيفر هويتفيلت"، ما اضطرّها إلى استخدام صواريخ أرض - أرض ضد التهديدات من اليمن. ولفت إلى أن تعطّل نظام إدارة القتال في المدمّرة والرادارات المرتبطة بها، منعها من إطلاق صواريخ اعتراضية. ونقل الموقع عن قيادات فيها قولهم إن خللاً أصاب منظومة الدفاع الجوي أثناء قيامها بالتصدي لهجوم يمني استُخدمت فيه طائرة مسيّرة، ما عرّض حياة أفراد طاقمها البالغ عددهم 175 شخصاً للخطر، من دون ذكر أسباب هذا الخلل. وأرجع الموقع الخلل إلى مشاكل فنية قال إنها معروفة منذ سنوات، ونقل عن ضابط في المدمّرة قوله إن مشكلة في نظام الذخيرة تسبّبت في انفجار نصف طلقاتها قبل أن تصل إلى هدفها. وتابع أن قيادتها أبلغت وزارة الدفاع الدنماركية بتلك المشاكل في منتصف آذار، وهو ما أدى إلى إقالة وزير الدفاع الدنماركي، فليمينغ لينتفر، من منصبه، على خلفية عدم الإبلاغ عن العيوب المشار إليها.

من جهتها، يؤكد الخبير العسكري المقرّب من وزارة الدفاع في صنعاء، العميد مجيب شمسان، لـ"الأخبار"، أن سحب المدمّرة يعود إلى تعرّضها لهجمات قاسية من قبل قوات صنعاء البحرية، واعتبر حديث البحرية الدنماركية، مطلع آذار الفائت، عن اعتراضها أربع طائرات مسيّرة، دليلاً على تعرّضها لهجمات يمنية أدت إلى تعطل منظومة الدفاع الجوي فيها، مشيراً إلى أن كل القوات المنضوية تحت إطار تحالف "حماية الازدهار"، تواجه مشكلة دفاعية، وكل منظوماتها الجوية فشلت في صد الهجمات اليمنية. وأرجع ذلك إلى أن تلك المنظومات مصمّمة لاعتراض صواريخ بر - بحر أفقية أو صواريخ تحت سطحية، عادة ما تُطلق من الغواصات الحربية، وأنها خلال مواجهتها في البحر الأحمر فوجئت باستخدام قوات صنعاء صواريخ بحرية متطوّرة سريعة وقادرة على المناورة.

ميدانياً، أعلنت القيادة المركزية الأميركية، في بيان أمس، أن عمليات قوات صنعاء البحرية متواصلة في البحر الأحمر، وأشارت إلى أن القوات الأميركية دمّرت صاروخاً مضاداً للسفن في منطقة تسيطر عليها حكومة الإنقاذ. ولم توضّح القيادة مكان الاشتباك، إلا أنها قالت إنه لم يسفر عن وقوع إصابات أو أضرار في السفن العسكرية أو التجارية.

تناقض في الرواية الدنماركية حول سحب المدمّرة من البحر الأحمر (أ ف ب)

لم تخرج جرافة الـ «d9» من حي سكني إلا وقد دمّرته بالكامل (أ ف ب)

غزة كتلةً من ركام: عندما حاربت إسرائيل الوجود

غزة - **يوسف فارس**

إلى جانب الدمار الهائل في المباني الذي لحق بكلّ مناطق قطاع غزة، كان لافتاً أن العمليات البرية التي شنّها جيش الاحتلال في مناطق شمال وادي غزة، وضعت على رأس أولوياتها هدف تخريب وتدمير البنية التحتية والمرافق العامة والصحية والخدماتية. ولم تخرج جرافة الـ «d9» من حي سكني، إلا وقد دمّرت الطرقات العامة وأعمدة الكهرباء وشبكات المياه والصرف الصحي، على نحو كلّي. كذلك، طاول التدمير مباني ومعدات البلديات المحلية، والآلاف من المحال التجارية والمؤسسات الأهلية.

آخر التقديرات التي نشرها «البنك الدولي»، يخلص في إحصائية أولية أعدّها بالشراكة مع الأمم المتحدة، إلى أن إسرائيل أحدثت تدميراً تجاوزت تكلفته الـ 18.5 مليار دولار في الفترة من السابع من تشرين الأول في بداية كانون الثاني الماضيين. ويلفت إلى أن ذلك الرقم يمثّل 97% من الناتج المحلي لقطاع غزة والضفة الغربية لعام 2022. ويفيد التقرير بأن 70% من التدمير نتجت من هدم المنازل والأبنية السكنية. أما ما لحق بالبنية التحتية للخدمات العامة، مثل المياه والصحة والتعليم، فيُقدّر بما نسبته 19%، فيما تبلغ حصة المباني التجارية والصناعية 90% من مجموع المبلغ المقدّر. ذلك الدمار الهائل، تسبّب بتراكم نحو 26 مليون طن من الأنقاض والركام، من المتوقع أن تتطلّب عملية إزالتها سنوات عدة.

ووفقاً لتقدير خبراء اقتصاديين تحدّثت معهم «الأخبار»، فإن الأشهر التي أعقبت الحد الذي توقفت عنده تقديرات البنك الدولي، تضمّنت حملات برية كبرى، طاولت مناطق بأكملها مثل محافظة خانيونس. كذلك، كرّر جيش الاحتلال، عقب انتهاء المدة المشمولة بالإحصاء، توغّله في قلب مدينة غزة مرتين، كان آخرهما حصار مستشفى الشفاء. وقد ضاعفت تلك العمليات حجم التدمير والتخريب الذي طاول البنية التحتية والمقدّرات الاقتصادية والتجارية. ويوضح أحد هؤلاء الخبراء أن «ذلك يعني أننا قد نكون أمام أرقام مضاعفة لتلك التي نُشرت حتى اللحظة، حيث إن واجهة شمال وادي غزة التجارية والحضارية المتمثّلة في حيي الرمال والنصر، دُمّرت تماماً، وكذلك حدث في مدينة خانيونس، وهي أهم مدن مناطق جنوب وادي غزة».

وإلى جانب التدمير الممنهج والمدروس لقلب المدن ومراكزها التجارية، كان نصيب الأحياء الطرفية من التدمير مضاعفاً. إذ يجري الحديث عن بلدات وأحياء بأكملها في شرق وغرب شمال وادي غزة سُويت تماماً بالأرض. وتصل نسبة الدمار في أحياء مثل «العامودي» و«الأميركية» و«التوام» و«المقوسي» و«الكرامة»، إلى 95%. وفي الأحياء الشرقية للشمال، مثل «التفاح» و«الشجاعية» و«بيت حانون» و«السكة» و«تل الزعتر» و«القرم»، تتجاوز نسبة التدمير الـ97%، إذ لم تعد تلك المناطق صالحة للحياة بأي شكل من الأشكال. على أن الممارسات الإسرائيلية التي انعكست سلباً على حياة النازحين، كانت ملاحقة معدات وإمكانات البلديات المحلية. فبعد أن دمّر جيش العدو كل مباني تلك البلديات، لاحق خلال الأشهر الماضية، آخر شاحنات النفايات والجرّافات وآليات كسح وتسليك المجاري التي بقيت تعمل، ما تسبّب في تجمع أكوام كبرى من النفايات والحيوانات النافقة في أواسط المدن والمخيمات ومراكز الإيواء. ويقول مصدر في بلدية جباليا، لـ«الأخبار»، إن «الطائرات الحربية هاجمت مستودع المعدات الخاص بالبلدية، وقصفت نحو 10 آلاف ليتر من السولار، وخرّبت كل الآليات التي استغرق الحصول عليها عشرات السنوات، واستمرت الملاحقة للمعدات التجارية الخاصة بالشركات المحلية التي تعاونت معها، إلى أن خرج نحو 98% من الآليات عن الخدمة، ما زالت هناك جرافة واحدة في كل شمال غزة تقوم بمهمة جمع القمامة وفتح الطرقات بعد القصف. هذه حرب تستهدف الوجود بكامله».

تركيا

محاولة أولى فاشلة لـ«التلاعب» بالانتخابات

إردوغان يقرّ: غزة هزمتنا!

محمد نور الدين

لم تكد النتائج النهائية للانتخابات البلدية التركية تظهر، حتى سُجّلت أولى محاولات الانقضاض عليها من قبل المنظومة السياسية - القضائية الحاكمة. وإذ فشلت هذه المحاولة في نهاية المطاف، فإنّ مسرحها كان كالعادة المناطق الكردية. وتحديداً بلدية فان المصنّفة «كبرى»، وفيها، فاز عبد الله زيدان، مرشّح «حزب الديموقراطية والمساواة للشعوب» الكردي، بنسبة 55% من الأصوات، مقابل 27% حصل عليها مرشّح «حزب العدالة والتنمية»، عبد اللهات أرفاس. وكانت «اللجنة العليا للانتخابات» صادقت على ترشيح زيدان كما على فوزه لاحقاً، غير أن «لجنة انتخابات فان» امتنعت، للمفارقة، عن تسليم شهادة الفوز لزيدان، وسلّمتها بدلاً من ذلك لأفراس، بحجّة أن الأول محكوم عليه قضائياً، عام 2022، بـ«الحقّ الممنوع» الذي يحرمه من ممارسة حقّه في الانتخاب أو الترشح أو تبوّء مواقع إدارية معيّنة.

على أن ما حدث أثار موجة غضب عارمة في المدينة، إذ رأى زيدان القرار «اغتصاباً لحقّ 245 ألف ناخب أيّدوه»، متسائلاً: «لماذا لم يتحرّك القضاء عندما وافقوا على ترشيحي، وعندما صدّقت اللجنة العليا للانتخابات على فوزي؟». وعلى هذه الخلفية، تقدّم الحزب الكردي باعتراض على القرار القضائي، فيما رأه قادة المعارضة «فخّاً» نُصب لها، فضلاً عن أنه «إنكار لإرادة الشعب». ومن جهته، قال الناطق باسم «العدالة والتنمية»، عمر تشيليك، إنّ «قرار عدم إعطاء زيدان شهادة الفوز وإعطائها لأفراس عائد إلى تقدير لجنة المحافظة، وهناك طرق اعتراض قانونية والقرار النهائي للجنة العليا للانتخابات»، مضيفاً أن «الدعوات إلى انتخابات مبكرة غير منطقية، فالانتخابات حصلت في أيار الماضي ولا تزال هناك أكثر من أربع سنوات للانتخابات المقبلة».

غير أن أحد المؤسّسين المعروفين لـ«حزب العدالة والتنمية»، وزير التربية السابق حسين تشيليك، وصف، من جانبه، ما حصل في فان بأنه «فظيع»، متسائلاً: «إذا لم يكن زيدان يمتلك المؤهلات القانونية للترشّح، فلماذا سمحوا له بذلك أصلاً؟». وبدورها، ذكرت المذيعة المعروفة، إيجه أونير، أنها تلقّت تهديداً بالقتل بسبب دفاعها عن حقّ زيدان في تبوّء البلدية، موضحةً أن شخصاً اتصل بها، وقال لها: «هل تريدين في وقت قريب أن تأتي من أجلك طوروس البيضاء؟»، وطوروس البيضاء إشارة إلى سيارة «رينو - طوروس» الفرنسية التي كان عناصر استخبارات الدولة، في الثمانينيات والتسعينيات، يستخدمونها لاغتيال أو خطف معارضين يساريين أو أكراد.

على أنّ «أول محاولة انقلابية» انتهت إلى الفشل، بعدما حسمت «اللجنة العليا للانتخابات»، مساء الأربعاء، فوز زيدان، وقرّرت بغالبية 7 مقابل 4 أعضاء منحه شهادة الفوز. وكانت لافتة في هذا الإطار أيضاً، تغريدة نائب رئيس «العدالة والتنمية»، حياتي يازجي، والتي اعترض فيها على محاولة حرمان زيدان من الفوز، إذ قال إن «الجنون الذي ظهر في فان أنهته لجنة الانتخابات بقرار صائب».

> **الموافقة على عضوية السويد في «حلف شمال الأطلسي» لعبت دوراً سلبياً ضد شعبية إردوغان**

ولكن ذلك الاعتراف لم يَرُق على ما يبدو قيادة الحزب، ليسارع يازجي بعد وقت قصير إلى محو التغريدة. وفي إطار الاعتراضات على النتائج أيضاً، تقدّم رئيس بلدية هاتاي الخاسر بفارق أقل من نقطة، لطفي صاواش، عن «حزب الشعب الجمهوري»، باعتراض على النتائج ضدّ مرشّح «العدالة والتنمية» الفائز، محمد أون تورك. وفي بتليس، اعترض مرشّح الحزب الكردي الذي خسر بفارق 198 صوتاً فقط، كما حصلت اعتراضات على النتائج من الخاسرين في مدن كبرى، مثل كوتاهية، أوردو، قرقلارالي وغوموش خانه، نتيجة الفارق الضئيل في الأصوات بين الفائزين والخاسرين.

في هذا الوقت، بدأت تداعيات التراجع الكبير في شعبية «الحزب الجيّد» القومي المعارض، والذي تترأسه مرال أقشينير، بالظهور الفوري عبر سلسلة من الاستقالات في صفوفه؛ إذ استقال المرشّح لرئاسة بلدية إسطنبول، نائب رئيس الحزب بوغرا قافانوجو، ورئيس الإدارة المحلية في الحزب براق آق براق. وفي وقت قرّر فيه «العدالة والتنمية» تشكيل لجنة للتحقيق في أسباب فشله في الانتخابات البلدية، رأى مدير شركة استطلاع «فاريانس»، رجب صارياك، أن «الخلل في توزيع الثروة، أفضى إلى حنق فئات واسعة من الشعب، ودفع بجزء منه إلى عدم الذهاب إلى صندوق الاقتراع»، محذراً من أنه «إذا لم تتدارك الحكومة الوضع، فإن ردة فعل الشعب ستكون أكثر راديكالية». وأن «انهيار الطبقتَين الوسطى والدنيا كان مؤثراً في النتائج وأظهر ترهّل "تحالف الجمهور"، المرتبط، بتقديره، بالنتائج والإجراءات التي سيتّخذها. أيضاً، يرى الخبير الاقتصادي، خيري قوزان أوغلو، أن العامل الاقتصادي كان حاسماً في خسارة «العدالة والتنمية». وقال: «عشية الانتخابات الرئاسية والبرلمانية في أيار الماضي، كان سعر الصرف مستقرّاً عند 20 ليرة، ونسبة الفائدة أقل من 15%، والتضخّم بدور في نسب معقولة. وبالتالي فإنّ أثر "الطناجر الفارغة" لم ينعكس في صناديق الاقتراع. ولكن منذ عشرة أشهر، ارتفعت نسب الفوائد إلى أكثر من 50% وتدهور سعر صرف الليرة من 20 إلى 32 ليرة، فيما ضربت نسبة التضخّم أرقاماً قياسية؛ فكانت عاقبة السلطة بالتصويت ضدّها. أمّا التصويت لمرشّحي حزب الشعب الجمهوري، فلأن الأخير اتبع في البلديات التي يديرها سياسات اجتماعية عادلة».

ومن جانب آخر، حظي تأثير الموقف من غزة على شعبية إردوغان باهتمام عدد من المعلّقين، ومن بينهم محمد علي غولر، في صحيفة «جمهوريات»، والذي قال إن الناخبين في قاعدة «العدالة والتنمية» لم يتجاوبوا مع دعوة الرئيس إلى عدم الالتفات إلى الدعوات «غير الأخلاقية» التي تريد استثمار الحساسية تجاه غزة، مضيفاً أن «جزءاً من القاعدة صوّت ضدّ إردوغان لأن موقف الأخير من غزة كان غير أخلاقي، فيما كان موقف هذه الفئات بالفعل أخلاقياً واقترعت لحزب الرفاه من جديد». ووفقاً لغولر، فإن إردوغان اعترف بعد الانتخابات بـ«(أننا) لم نستطع الدفاع عن الانتقادات التي واجهتنا في شأن غزة. ولم ننجح في إقناع هذه الفئات بتغيير موقفها». وذكر أيضاً أن الموافقة على عضوية السويد في «حلف شمال الأطلسي» لعبت دوراً سلبياً ضد شعبية إردوغان، وخصوصاً أن هذا البلد اشتهر بكونه «يحرق القرآن». وانتهى إلى القول إن «لقاء إردوغان بالرئيس الأميركي، جو بايدن، في البيت الأبيض في الـ9 من أيار المقبل، سيزيد من حراجة موقفه بالنسبة إلى العلاقة مع الأطلسي والأميركيين».

انتهت «أولى محاولة انقلابية» إلى الفشل، بعدما حسمت لجنة الانتخابات فوز عبد الله زيدان في بلدية فان (أ ف ب)

تقرير

اغتيال الرجل الثاني في «تحرير الشام»: الجولاني يغلق «الثقب الأسود»

علاء حلبي

وسط تضارب في الروايات حول الآلية التي تمّ من خلالها تنفيذ الاغتيال، لقي العراقي ميسر علي الجبوري الملقّب بـ«أبي ماريا القحطاني» مصرعه، خلال حضوره مضافة في مدينة سرمدا في ريف إدلب، أقيمت لتهنئته بالخروج من سجون أبي محمد الجولاني، زعيم «هيئة تحرير الشام» (جبهة النصرة - فرع تنظيم القاعدة السابق)، على خلفية عملية أمنية داخلية نفّذها الأخير للقضاء على خصومه بحجة اكتشاف خلية من العملاء. وتأتي عملية الاغتيال التي تمّت عن طريق تفجير استهدف القحطاني بشكل مباشر، وأدّى إلى مقتله وإصابة أربعة أشخاص كانوا حوله، بعد أقل من شهر على إطلاق الجولاني سراح «صديق دربه» الذي قضى ستة أشهر في السجن، إثر اعتقاله واتهامه بالعمالة لدول أجنبية وتقديم معلومات استخباراتية عن «جهاديين» ينشطون في مناطق سيطرة «الهيئة». وكان هذا الأمر تسبّب بأزمة داخلية وانقسامات بين مؤيدي الجولاني وأنصار القحطاني، ما دفع زعيم «الهيئة» إلى إطلاق سراح صديقه وعدد كبير من المقبوض عليهم في محاولة لتهدئة الأجواء، غير أن هذه الخطوة تسبّبت في زيادة الشقاق، بعد ظهور آثار تعذيب واعتداءات تعرّض لها المعتقلون، لتخرج تظاهرات كبيرة، لا تزال مستمرة، في إدلب وريفها، تدعو إلى إسقاط الجولاني.

وفي وقت ذكر فيه أنصار القحطاني أن الانفجار تمّ عبر عبوة ناسفة، نعى رئيس المجلس الأعلى للإفتاء في «الهيئة» عبد الرحيم عطون، الذي يُعتبر في الوقت الحالي أحد أبرز المقربين من الجولاني، القحطاني، واصفاً إياه بـ«الشهيد»، وقال إن الاغتيال تمّ عبر تفجير انتحاري، متهماً تنظيم «داعش» بالوقوف وراءه. غير أن هذه التصريحات قوبلت بتشكيك من أطراف عديدة داخل «الهيئة»، في ظل المصلحة الواضحة للجولاني في اغتيال صديقه وأحد مؤسّسي «جبهة النصرة»، لما يحمله

> **يمثّل اغتيال القحطاني فرصة بالنسبة إلى الجولاني لإعادة تنشيط جهازه الأمني الذي لعب دوراً كبيراً في تخليصه من خصومه**

من معلومات كبيرة حول تاريخ زعيم «تحرير الشام» وتواصله مع الاستخبارات الغربية ومخططاته السابقة، ومن بينها التخلص من خصوم كثر، إذ تنهي وفاة القحطاني الاغتيال تمّ عبر تفجير انتحاري، متهماً تنظيم «داعش» بالوقوف وراءه. غير أن هذه التصريحات قوبلت بتشكيك من أطراف عديدة داخل «الهيئة»، في ظل المصلحة الواضحة للجولاني في اغتيال صديقه وأحد مؤسّسي «جبهة النصرة»، لما يحمله من رحم «داعش» ونازعته على السلطة في مناطق عديدة من سوريا تحت قيادة القحطاني، الذي شارك بشكل مباشر في المعارك بين التنظيمين، كما شارك في عمليات التخلص من قادة التنظيم بعد أقول نجمه. وبينما يستر اغتيال الرجل محطات عديدة في تاريخ الجولاني، يأتي الاغتيال في وقت يعيش فيه الجولاني أزمة متصاعدة على مختلف المستويات، سواء داخل تنظيمه الذي يشهد عملية اصطفاف مستمرة، أو على المستوى الشعبي في ظل استمرار التظاهرات المناوئة له، والتي فشل في قمعها برغم استعمال الأسلحة النارية، وشن حملات أمنية عديدة. ويفتح ذلك الباب أمام احتمالات عديدة تذهب جميعها نحو زيادة الأزمة، علماً أن القحطاني كان يتمتع بحضور كبير في الأوساط العشائرية، بالإضافة إلى وجود كتل وازنة داخل «الهيئة» تناصره.

مقالة

روسيا في البحر الأحمر
إريتريا بوابةً للعودة؟

محمد عبد الكريم احمد

وصلت الفرقاطة الروسية «مارشال شابوشنيكوف» (BPK543) التابعة لأسطول البحر الهادئ الروسي، إلى ميناء مصوع الإريتري نهاية آذار الماضي، في زيارة استمرّت خمسة أيام، وتزامنت مع الذكرى الـ30 لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، فيما يمكن ملاحظة تطوّر العلاقات بينهما، منذ تصويت أسمرا ضدّ قرار أممي يدين الحرب الروسية على أوكرانيا (آذار 2022). ولعلّ هذه «الزيارة»، تثير خصوصاً تساؤلات حول خيارات موسكو في البحر الأحمر، بعد سلسلة من المحاولات الفاشلة لإيجاد «موطئ قدم» لها في جيبوتي، ثم في السودان.

روسيا وإريتريا: البحث عن الزمن الضائع

حضرت روسيا في شؤون إقليم البحر الأحمر على نحو مباشر منذ نهاية القرن الـ18، عبر تقديم الدعم لعدد من القوى المحلّية المناوئة للدولة العثمانية (المماليك في الأساس) عبر البارون دي ثونوس، قنصل روسيا في القاهرة، والتحالف مع قوى أوروبية، في مقدّمتها النمسا، سعياً إلى ضمان «حرية الملاحة» الأوروبية هناك. ومن هنا، فإنّ الاهتمام الروسي المتزايد بهذا البحر، من بوابة إريتريا هذه المرّة، يكتسب بُعداً تاريخياً واضحاً يُبرز واقع وجود مصالح روسية في الممرّ البحري الأهمّ في العالم.

وفيما واجهت روسيا «فيتو» أميركياً متكرّراً على إقامة قواعد لوجيستية في الإقليم، ولا سيما في جيبوتي، فإنها كثّفت جهودها، في العامَين الأخيرَين، للتحالف مع إريتريا. وتعزّز هذا المسار بعد زيارة الرئيس الإريتري، أسياس أفورقي، التاريخية إلى موسكو (أيار 2023)، ولقائه نظيره الروسي، فلاديمير بوتين، وانتقاده، في خطاب شهير ومطوّل، «أيديولوجيا (الغرب) المجنونة وأفعاله التي لا يمكن كبحها، والتي لم تسع طوال الأعوام الـ30 الماضية إلّا إلى الهيمنة وخلق عالم أحادي القطب». ومن جهة أخرى، فإن التعاون الاقتصادي بين موسكو وأسمرا يظلّ محدوداً جداً، رغم تطوّره النسبي من 9.3 ملايين دولار في عام 2021، إلى 15 مليوناً في تقديرات عامَي 2023 و2024.

وهكذا، اكتسب التطوّر الأخير في العلاقات الثنائية بين البلدين - في جانبه العسكري تحديداً - أهمية دالّة على آفاقها: إذ توجّه وفد رفيع المستوى من البحرية الروسية (1 نيسان الجاري)، انطلاقاً من ميناء، مصوع، المقابل لميناء، جيزان السعودي على السواحل الشرقية للبحر الأحمر وقرب الحدود السعودية - اليمنية مباشرة، يتقدّمه نائب قائد القوات البحرية الروسية، فلاديمير كاساتونوف، لمقابلة وفد عسكري من شخصيات بارزة في القوات البحرية الإريترية، يتقدّمه قائد الجيش فيليبوس ولديوهانس، إضافة إلى الدبلوماسي المخضرم زيميدي تكلي (سفير إريتريا الأسبق لدى إيطاليا). ومن الواضح أن تلك الزيارة، وباعتبارها إحدى الفعاليات الروسية المحتفية بمرور ثلاثة عقود على إقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، لم تكن «احتفالية» حصراً، بل جاءت خصوصاً في سياق تعويل موسكو وأسمرا على أهمية الشراكة الاستراتيجية بينهما في السنوات المقبلة.

إريتريا على خط الجنوب العالمي؟

جاء، توجّه الفرقاطة «شابوشنيكوف» إلى ميناء، مصوع، بعد أقل من أسبوعين من مشاركتها وقطع من البحرية الروسية في مناورات مشتركة مع كلّ من الصين وإيران في خليج عمان استمرّت ليومين، وكشفت وزارة الدفاع الروسية، خلالها، عن تدرّب البحارة الروس على مناورات وتدريبات اتصال مشتركة، وكذلك على استهداف أهداف بحرية وجوية على مدار الساعة. وشكّل توجّه أفورقي إلى البارجة (2 الجاري)، وعقده مناقشات موسّعة مع كاساتونوف، علامة فارقة على اتّساع أفق العلاقات بين البلدين. وارتكزت المناقشات على سبل تعزيز الصلات الثنائية، وفقاً لما تمّ الاتفاق عليه في سان بطرسبرغ في تموز 2023، بما يشمل قطاعات البنية الأساسية والطاقة والتعدين والزراعة والموارد البحرية والدفاع والأمن، ويفتح الباب أمام ترقية العلاقات الاقتصادية والعسكرية والثقافية بين البلدين إلى مستويات غير مسبوقة.

لكن ثمّة عوامل قد تحدّ من التفاؤل إزاء مقاربة أفورقي لروسيا، من بينها جنوح إريتريا منذ استقلالها إلى الانخراط في تحالفات «تكتيكية» مع مجموعة من القوى الإقليمية والدولية - من مثل إسرائيل وإيران والصين والسعودية - على نحو مؤثر جداً في ترتيبات الأمن في البحر الأحمر، ولا سيما في فترة الحرب السعودية الأخيرة في اليمن. وتضاف إلى ما تقدّم، محاولات أسمرا - وإيجادتها في واقع الأمر - انتهاج سياسات مستقلّة على المدى البعيد (كما في مثال موقف إريتريا من العلاقات الإثيوبية - المصرية، والأزمة في السودان)، وهو ما مكّنها من الحفاظ على توازناتها الإقليمية والدولية وتأمين نظام أفورقي في مواجهة موجات متلاحقة من الضغوط. ولئن كانت تلك العوامل تحجّم (نظرياً) من تصوّرات نزوع إريتريا إلى الاصطفاف خلف روسيا ومحور «الجنوب العالمي» على نحو كامل، فإنها تمثّل - للمفارقة - ورقة مهمّة لدى أسمرا، حال قناعتها بهذا الاصطفاف كخيار مناسب وأخير لحماية النظام من المتغيرات التي سيشهدها إقليم البحر الأحمر والقرن الأفريقي في ما بات يعرف بـ«ما بعد الحرب في غزة».

موسكو وأسمرا ومعضلة الأمن في البحر الأحمر

حرص الوفد الروسي الذي التقى أفورقي على متن الفرقاطة الروسية في مصوع، على تأكيد دعم موسكو لجهود السلم والاستقرار الإقليميَّين في البحر الأحمر (والقرن الأفريقي)، وهو ما لقي ردّاً إيجابياً واضحاً من إريتريا ودول جوارها (السودان وإثيوبيا وجيبوتي). وفي ما يؤشر إلى نية موسكو تثبيت وجود بحري قوي على طرق التجارة العالمية الرئيسة، رافقت «شابوشنيكوف» منصة «فارياج Varyag» لإطلاق الصواريخ الموجّهة (تلميحاً ربما إلى الاستعداد لدور هجومي في البحر الأحمر)، وهو ما قد يدلّ أيضاً على قرب توصّل أسمرا وموسكو إلى اتفاق سبق طرحه قبل نحو خمس سنوات، تقوم بمقتضاه الأخيرة بإقامة مركز خدمات لوجيستية بحرية في إريتريا، بهدف واضح وهو رفع قدرات روسيا العسكرية واللوجيستية في القرن الأفريقي.

وفي حين لم تؤكد وسائل الإعلام الإريترية الرسمية إطلاق مناورات روسية - إريترية مشتركة بالتزامن مع الزيارة، فإن وسائل إعلام روسية نقلت عن سفير روسيا في أسمرا، إيجور موزجو، تأكيده توجّه الفرقاطة الروسية إلى مصوع «للمشاركة في تدريبات مع إريتريا للمرة الأولى منذ إطلاق العلاقات الدبلوماسية بين البلدين»، وإن لم تحدّد حجم التدريبات وطبيعتها أو حجم المشاركة الإريترية فيها. على أنه لا يمكن فصل الخطوة الروسية عمّا يمكن ملاحظته من تشكل قوى بحرية موازنة للهيمنة الأميركية، وتغير في الترتيبات الأمنية في البحر الأحمر، فيما سيمثّل انضمام إريتريا إلى كل من الصين وإيران وروسيا تحولاً كبيراً، ولا سيما أن الأولى صاحبة ثالث أطول سواحل بين دول الحوض، وتمتلك عدداً من الجزر الاستراتيجية المتدّدة حتى المياه الإقليمية اليمنية.

وفيات ◀

بسم الله الرحمن الرحيم
(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيم
تَسليماً بِقَضاءِ الله وقَدَرِه، ننْعَى إِلَيْكُمْ وفَاةَ المرحوم المأسوف على شبابه
طارق معين الحاج محمود خنافر

والدته: ديالا الرفاعي
شقيقاته: مي (زوجة الياس أسمر) وفرح
أعمامه: نعيم، عارف، راشد، غالب
عمّاته: راقية، ليلى، مي
أخواله: علي، حسام
تقبل التعازي اليوم السبت من الساعة الثانية بعد الظهر حتى الساعة السادسة عصراً في منزل عمّه السيد راشد خنافر في الجناح - اوتستراد الماريوت بجانب سفارة سلطنة عمان - بناية بارك تاور الطابق السابع.
كما يقام ذكرى أسبوع على وفاته غداً الأحد الواقع فيه 7/4/2024 في مركز «جمعية التخصص والتوجيه العلمي» - الرملة البيضاء قرب أمن الدولة - من الساعة الثانية بعد الظهر حتى الساعة السادسة عصراً.
الآسفون: آل خنافر، آل الرفاعي، وعموم أهالي عينانا.
للفقيد الرحمةُ ولَكُمْ عظيم الأجرِ والثواب.
الفاتحة لروحه الطاهرة ولأرواحِ أمواتنا جميعاً.

انتقلت إلى رحمته تعالى الفقيدة الغالية
هلا محمد طه الجندي
زوجة يوسف محمد علي الأمين
أولادها: لمى، نادر زوجته مايا أبو ظهر، ويوسف
أشقاؤها: حسين، غسان، وهادي
شقيقاتها: حياة زوجة محمد الأحمد، منى أرملة المرحوم عدنان عبد الخالق، وروعة
أشقاء زوجها: خالد زوجته ندى الأمين، إبراهيم زوجته نسرين العبدالله، وأحمد زوجته آمال الزعتري
شقيقات زوجها: سلمى زوجة وليد العاصي، هيفاء أرملة المرحوم محمد الدرزي، جميلة أرملة المرحوم محمد الدامودي، وأمّ كلثوم زوجة نبيل الوتار
ووريّ جثمانها الطاهر الثرى في 4 نيسان 2024 في جبانة بلدتها شقراء - قضاء بنت جبيل.
تُقبل التعازي للنساء والرجال في صيدا اليوم السبت 6 نيسان في منزل العائلة الكائن في حيّ البعاصيري. بناية رامز قاسم، الطابق الأول.
وتُقبل التعازي للنساء والرجال في طرابلس غداً الأحد في 7 نيسان في قاعة مسجد الوفاء من الساعة الثالثة حتى السادسة عصراً.
الآسفون:
آل الأمين وآل الجندي.

◀ إعلانات رسمية

إعلان
عدد:11/عقاري/ 2024
يدعو رئيس قلم محكمة الاستئناف المدنية في النبطية المُستأنف عليه حسين علي حريري الحُضور إليه لاستلام أوراق الدعوى الاستئنافية المُتكونة بين سارة جوني وحسين علي حريري ورفاقه برقم أساس: 11/ عقاري/2024، وعليه أن يتخذ مكان إقامة في نطاق المحكمة أو أن يُوكل مُحام ليعتبر عندئذٍ مكتبه مكاناً مُختاراً، وإلاّ جاز إبلاغه الأوراق بواسطة رئيس قلم المحكمة والتعليق على لوحة الإعلانات خلال عشرين يوماً يلي النشر.
النبطية في: 2024/4/5
رئيس القلم
علي إبراهيم

إعلان
لأمانة السجل العقاري في عكار
طلب عبد الرزاق محمد هاني المحمد بالأصالة عن نفسه بدل عن ضائع عن العقار 420 القرقف وبالوكالة عن جمال خالد المرعبي وديانا وباسل أولاد محمد الحداد عن 58 و70 و71 و72 و75 والمقسم 5 و8 البلوك A والمقسم 4 و5 البلوك B و76 و82 و83 و102 و103 و105 و106 و107 و108 و157 و95 و156 وعن بلال عبد الرزاق وجمال خالد المرعبي للعقارين 74 و78 بيت الحوش.
للمُعترض 15 يوم للمُراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري في عكار
طلب المُحامي وائل شكور بالوكالة سند بدل ضائع عن سعدالله جرجي حمصي بحصته بالعقار 272 دير دلوم.
للمُعترض 15 يوم للمُراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري في عكار
طلب غابي شكور بموجب تفويض عقد تنفيذ وكالة غير قابلة للعزل عن سعاد خالد محمد شهادة قيد بدل ضائع للعقار 63 وادي الحور.
للمُعترض 15 يوم للمُراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري في عكار
طلب المُحامي كميل مطر بوكالته عن جميلة عبدالله بصفتها أحد ورثة عبدالله ابراهيم فاهمي شهادة قيد بدل ضائع للعقار 2581 رحبة.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري في عكار
طلب المُحامي ماجد المراد بوكالته عن جمال حسين علي حسين شهادة قيد بدل ضائع للعقار 1552 بزبينا.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري في عكار
طلب المُحامي وائل شكور بالوكالة عن جمال حسين علي حسين شهادة قيد بدل ضائع للعقار 1552 بزبينا.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري في عكار
طلب المُحامي وائل شكور بالوكالة سند بدل ضائع عن سعدالله جرجي حمصي بحصته بالعقار 272 دير دلوم.
للمُعترض 15 يوم للمُراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري في عكار
طلب عبد الرزاق محمد هاني المحمد بالأصالة عن نفسه بدل عن ضائع عن العقار 420 القرقف وبالوكالة عن جمال خالد المرعبي وديانا وباسل أولاد محمد الحداد عن 58 و70 و71 و72 و75 والمقسم 5 و8 البلوك A والمقسم 4 و5 البلوك B و76 و82 و83 و102 و103 و105 و106 و107 و108 و157 و95 و156 وعن بلال عبد الرزاق وجمال خالد المرعبي للعقارين 74 و78 بيت الحوش.
للمُعترض 15 يوم للمُراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري في طرابلس
طلب عبد الرزاق محمد هاني المحمد بالأصالة عن نفسه سندات تمليك بدل ضائع للعقارات 2044 بقاعصفرين و201 عرقبي و287 للمقسمين 4 و5 منطقة التل وبالوكالة عن زكريا محمد هاني المحمد وعثمان عبد الرزاق المحمد للعقار 65 عرقبي و1059 و1061 و1063 و1064 و1065 و1066 و1067 و1070 و1071 و1072 و1074 و1075 و1077 و1078 و1079 و1080 و1081 و1083 و1084 و1085 و1087 و1090 و1092 و1094 و1095 و1098 و1099 و1100 و1101 و1102 و1103 و1111 و1112 و1113 و1124 و1125 و1126 و1128 و1130 و1139 و1140 و1143 و1146 و1147 و1149 و1155 و1106 و1107 و1108 و1109 و1110 و1114 و1115 و1116 و1117 و1119 و1120 و1121 و1122 و1123 و1144 و1145 كفرحبو وللعقار 829 لشركة محمد المحمد لتجارة العقارات كفرحبو.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

الأخبار
إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
71-513571
01-759500

الأخبار
al-akhbar
السبت 6 نيسان 2024 العدد 5172

صورة وخبر

تتصدّر لوحة Moulin de Limetz (عام 1888) لمؤسّس المدرسة الانطباعية، الفرنسي كلود مونيه (1840 ــ 1926) قائمة المعروضات في المزاد الذي تقيمه «دار كريستيز» في نيويورك في أيّار (مايو) المقبل، ويشمل أعمالاً من القرن العشرين. العمل الذي يقدّر ثمنه بين 18 و25 مليون دولار أميركي، مقدَّم من قبل ورثة إثيل بي آثا، و«متحف نيلسون أتكينز للفنون» في مدينة كانساس الأميركية والذي من المتوقّع أن تذهب العائدات إلى إنشاء منحة فيه مخصّصة لاقتناء الأعمال الفنية. (برتراند غواي ــ أ ف ب)

مفكرة

تضامن مع كادر غزة الطبي والإغاثي

تحت شعار «لنرفع صوتنا دفاعاً عن قيم العدالة الإنسانية والحق في الصحة في كل مكان في العالم»، دعا تجمع الهيئات الأهلية التطوّعية في لبنان ولجنة المتابعة لمنظمات المجتمع المدني اللبناني والفلسطيني إلى وقفة تضامنية مع الكادر الطبي وعمّال الإغاثة الذين يتعرّضون لاستهداف ممنهج في قطاع غزة، كجزء من عملية الإبادة التي يشنها الاحتلال الاسرائيلي.

* الوقفة التضامنية: الإثنين، 8 نيسان 2024، الساعة 12:00 ظهراً، مبنى مؤسسة عامل الدولية، بيت عامل لحقوق الإنسان، الطابق الأول.

تهاني نصّار: شرفات على الطوفان

تدعو «ندوة الفكر القومي» في «مؤسسة سعادة للثقافة»، اليوم السبت إلى حضور ندوة تقدّمها الأكاديمية الزميلة تهاني نصّار (الصورة) عبر «زوم»، بعنوان «شرفات على الطوفان: قراءة في التجربة». وفيها، تحكي نصّار عن المجموعة الصادرة في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي، وتضمّ 38 قصة قصيرة كتبها طلّاب ورشة الكتابة الإبداعية في «دار ـ المجمّع الإبداعي» بتجاربهم المتفاوتة، واختصاصاتهم ومناطقهم وأعمارهم المختلفة. دوّن هؤلاء متابعتهم للعدوان الصهيوني على قطاع غزة، ومشاعرهم التي أرادوا أن يوصلوها إلى فلسطين ليقولوا: «هذه معركتنا أيضاً».

ندوة «شرفات على الطوفان: قراءة في التجربة»: اليوم السبت ـ الساعة الثانية بعد الظهر ـ «زوم» (رابط النشاط على موقعنا)

لانا في رمضان: قصّتان للصغار

في أجواء شهر رمضان وإطار الأنشطة الثقافية التي استأنفت تنظيمها، تحتضن «مكتبة الحلبي» (قصقص)، اليوم السبت قراءة لقصّتَيْن للأطفال من عمر ست سنوات وما فوق. القصّتان اللتان تقرأهما لانا الحلبي (الصورة)، كتبتهما بشرى قدّورة وأنجزت الرسومات الخاصة بهما مجموعة Children Inn فيما أصدرتهما «دار أصالة للنشر والتوزيع»، وهما: «رمضان مبارك» التي تتمحور حول المسحراتي، و«ليلة عيد الفطر» التي تحاكي أجواء العيد المرتقب الأسبوع المقبل. يلي القراءة نشاط ممتع خاص بالصغار.

قراءة قصّتان للأطفال عن رمضان: اليوم السبت ـ من الساعة الحادية عشرة قبل الظهر حتى الثانية عشرة ظهراً ـ «مكتبة الحلبي» (شارع حمد ـ قصقص/ بيروت). للاستعلام: 01/851154

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
السبت 6 نيسان 2024
العدد 5172 السنة الثامنة عشرة
Samedi 6 Avril 2024 nº 5172 18ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

طارق الغصين ـ من سلسلة «بورتريهات ذاتية» (2010)

نادي القلم الأميركي في مهبّ الطوفان

سعيد محمّد

أعلنت مجموعة من الكتّاب والأدباء البارزين في الولايات المتحدة أنها انسحبت من نسخة مهرجان «أصوات القلم العالمي» لهذا العام بسبب ما وصفته المجموعة بـ «الاستجابة القاصرة، وغير الكافية» من قبل «نادي القلم الأميركي» (الجهة المنظمة للمهرجان) تجاه حرب الإبادة التي ترتكبها الدولة العبريّة ضدّ الفلسطينيين في غزة، عاقدين مقارنةً مع اندفاع النادي لتأييد أوكرانيا بلا تحفّظ في مواجهة الغزو الروسي. المجموعة التي ضمّت حوالى عشرين مثقفاً وكاتباً من بينهم نعومي كلاين، ولوري مور، وميشيل ألكسندر، وهشام مطر، وإيزابيلا حماد، وزينة عرفات وسوزان معدي دراج، اتّهمت في رسالة مفتوحة، وقّعها أكثر من 1300 شخص إلى الآن، إدارة التجمع الأدبي المرموق بأنها «خانت التزامها المعلن بالسلام والعدالة للجميع، وبالحرية والأمن للكتّاب في كل مكان» بعدما فشلت في الدعوة إلى وقف فوريّ لإطلاق النار في القطاع المحاصر، وأظهرت انحيازاً إلى السرديّة الإسرائيلية، وتلعثمت في إدانة الإبادة الجماعيّة المستمرة منذ ستة أشهر. واعتبرت المجموعة أنّ حضور مهرجان هذا العام، لن يؤدي إلا إلى تعزيز الوهم بأن الفرع الأميركي للمنظمة الأدبيّة الذي تأسّس قبل عشرين عاماً مكرّس حقّاً «للدّفاع عن حرية التعبير في قلب نضال الإنسانية ضد القمع» فيما اعتذرت نعومي كلاين، المؤلفة المعروفة بأعمالها العدة حول العدالة الاجتماعية والمناخية، على صفحتها على منصة «إكس»، عن عدم تولّيها دور الرئيس الفخري المشارك للمهرجان للأسباب ذاتها، قائلة: «كان يشرفني بالطبع أن أكون رئيسة فخرية لدورة هذا العام، ولكن ليس بعدما فعلته إدارة «نادي القلم» بشأن غزّة، وما قصّرت عن فعله أيضاً».

وكانت إدارة النادي قد سارعت بعد مرور ثلاثة أيام فقط على هجوم السابع من تشرين الأول (أكتوبر) 2023 إلى إصدار بيان أدانت فيه الهجوم الفدائي الفلسطيني وركّزت على استهداف من أسمتهم بـ «المسلحين» لـ «مهرجان موسيقيّ». ولاحقاً، قامت المديرة التنفيذية سوزان نوسيل ورئيسة النادي جينيفر فيني بويلان، بزيارة لا يمكن تبريرها إلى الكيان العبري، حيث التقيتا بكتّاب إسرائيليين وفلسطينيين وممثلين عن منظمات حقوقية.

وعادة ما يستقطب مهرجان «أصوات القلم العالمي»، المقرر أن ينعقد في أيار (مايو) المقبل بين نيويورك ولوس أنجلوس، مئات المؤلفين الأميركيين ومن مختلف أرجاء العالم. وكان قد أُطلق كمنصة حوار بين الكتاب والمثقفين في مواجهة الانعزالية وكراهية الأجانب التي تفشت في الولايات المتحدة بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر. وفي الدورات السابقة، عقد المهرجان حلقات نقاش شارك فيها مثقفون كبار قدموا مداخلات حول قضايا مهمّة مثل عنف السلطة، والاضطرابات السياسية، والمقاومة، والنوع الاجتماعي، والتهديدات للخصوصية، وحرية التعبير، إلى جانب إقامة دورة طارئة استثنائيّة من المهرجان في عام 2022 لدعم أوكرانيا وما أسماه بـ «حماية حرية التعبير في أوقات الحرب».

ويبدو أن هذا التمرد المشرّع على المزيد من الانشقاقات، سيطيح بدورة المهرجان هذا العام، ولا سيما أنّه يأتي بعد سلسلة من الاستقالات التي تقدّم بها موظفون بارزون ورسائل احتجاج متكرّرة بعثت بها الكوادر التي تدير عمليات «نادي القلم الأميركي». من جهتها، اعترفت إدارة «القلم الأميركي» بأنّ المهرجان يواجه أزمة محورها غزّة، وقال متحدث باسمها إنّ «الجدول الزمني لدورة هذا العام لم ينجز بعد»، مشيراً إلى عدم امتلاكه تفاصيل حول الصيغة التي ستتبناها إدارة الحدث في ظل الحرب الإسرائيلية على القطاع، والاستقطاب الحاد الذي يشهده عالم الثقافة والآداب بشأن المواقف منها.

حوار

يأخذ المُنتج الأدبي العربي، خصوصاً لدى جيل التسعينيات المصري، منحى تخصّصياً لدى الكُتّاب. يكفي المُبدع أن يُركّز اهتمامه على نوع أدبي واحد. يبرز الإنتاج المُتنوع لدى الكاتب والمُترجم المصري محمد عبد النبي (1977)، تداخل مشروعه الأدبي بين ما هو جمالي ونظري وتفاعلي. إلى جانب مجموعات قصصية وروايتين، أنجز عبد النبي ترجمات روائية عدة، إضافة إلى ورشة «الحكاية وما فيها» التي تحوّلت إلى كتاب بالاسم نفسه، نُشر للمرة الأولى عام 2016 عن «مؤسسة هنداوي»، ثم صدرت منه طبعة مزيدة عن «دار الكرمة». في أحد حواراته السابقة، عقب حصول روايته «في غرفة العنكبوت» على جائزة «الأدب العربي» التي يمنحها «معهد العالم العربي» في باريس بالاشتراك مع «مؤسسة جان لوك لاغارديز»، سُئل عبد النبي عن داعي الكتابة، فأجاب بأنها مُتعة عملية الكتابة بذاتها، بعيداً عن أولوية الانشغال بالمغزى أو المعنى الكامن ورائها، أو مثلما ذكر تحديداً: «لماذا نبحث عن دور للوردة؟». لعلّ البحث عن الوردة يصلح ليكون عُنواناً جامعاً لمُنتج عبد النبي، قاصاً وروائياً ومُترجماً ومُحاضراً. ثمّة إحالة في تجاوز سؤال الغاية، إلى تجاوز ضرورة الموضوع، لأنّ الموضوعات وما يُغذيها من حكايات مُوجودة بطبيعة الحال في تاريخ البشر، يصعبُ ــ إن لم يكن مُحالاً ــ أن نجد بينها حكاية أصيلة تماماً. لذا فإن حيّز الأصالة يقع في «الأسلوب». وهنا يحضُر سؤال بديل حول الوردة: كيف نحكي حكاية عنها؟ تنحازُ كتابة عبد النبي القصصية والروائية إلى إمتاع القارئ، بالتدفّق في الحدث وعُمق التناول العاطفي وسهولة اللغة.

تطرق عبد النبي إلى المثلية الجنسية في «في غرفة العنكبوت» (2017) ليس لأنّه موضوع شحيح التناول أو مُقولب بحُكم الوصم الأخلاقي، بل لأنّ الملمح الواقعي الماخوذ عن حادثة «الكوين بوت» عام 2001 حين اعتُقل 52 مثلياً عُوملوا بقسوة مفرطة من قبل الأمن المصري، يستحيل إلى تجربة تُعبّر عن حكاية نتعرّف فيها إلى إنسان مُجرّد من كل الحيثيات في بداية الرواية. وحينما يشتبكُ معها، بفعل الحكي، نُعايش حكايةً استثنائية بمفردات وشوارع وذكريات مُستمدّة من تجربتنا في الحياة. في «في غرفة العنكبوت»، انتقل عبد النبي بين أزمنة عدة، من تذكّر أحداثٍ سابقة، مروراً بتجربة السجن، مع حضور مكاني أشبه بسجن اختياري، حيثُ غرفة فندقية صغيرة يعتزل فيها هاني الحياة باختياره. لا تجعلُ هذه المحطّات هاني، أكثر من إنسان بسيط بخلفية ثقافية محدودة، يعملُ على إعادة إنتاج حاضره بتذكّر ماضيه. فالكوابيس التي تطفح بها الدفاتر الصغيرة، لا يوجد بجوارها أنيس سوى عنكبوت ينسجُ بيته بهدوء. انتقالاً من هاني وغرفته وعنكبوته الوحيد، نرى «فؤاد» في رواية «كل يوم تقريباً» (المحروسة ــ القاهرة ــ وردت ضمن القائمة الطويلة لجائزة «بوكر» العربية 2024) وحكايته التي تبدأ من وجود جرو صغير نائم جواره. وبملامح روائية قريبة من ثيمة «في غرفة العنكبوت»، تُنسج خيوط «كل يوم تقريباً». من نقطة توهم بالاستثنائية في الزمن الحاضر، تبدأ الأشباح التي لحقت ذكريات فؤاد قبل أن يُشعلها، في إنتاج حكايته منذ نشأة والديه وحتى زمن مطلع الرواية. تتشكّل تجربة فؤاد عبر تتابع ما بين التناول الفردي، الجوّاني، والتناول المُشتبك داخل فضاء من العلاقات المُختلفة. حول التفكير في كتابة الرواية، وكتابتها، واستثنائية الحرج في توفير راوٍ شبحي ليُتمم الحكاية، إضافة إلى ملمح الأمل، الذي لا نعرف هل نحن محكومون به أم لا، أسئلة كثيرة شاركناها مع محمد عبد النبّي في هذا اللقاء

تقديم وحوار **إسلام العزازي**

محمد عبد النبي: كل شيء ينطلق من الذات يتلوّث بها

■ كيف فكرت في الرواية؟ وكيف كانت عملية كتابتها؟

- التفكير في عمل فني أو نص أدبي عملية معقّدة، على ما أحسب، ولا تكون مكشوفة مِن كل جوانبها حتّى للمبدع أو للكاتب نفسه، مهما كان واعياً، وأبدى الانتباه في الأثناء. امتدت عملية التفكير في هذه الرواية على مدار مدة طويلة، تغيّر خلالها تصميم الرواية المتخيّلة مرة بعد أخرى. لكنّ المؤكّد أنها اتخذت شكلاً سرطانياً في أثناء بنائها، ولعلّ هذه هي إجابة سؤالك الثاني. الشكل السرطاني، كما أقصده، هو عكس الكتابة المتوالية في خطّ مستقيم من نقطة إلى أخرى، ولكنها كتابة تنمو مثل عناقيد في اتجاهات مختلفة. بعض فقرات الكتاب لديّ منذ عشر سنين على الأقل، وفقرات أخرى كتبت خلال العامين السابقين على نشر الكتابة. وهما المدة التي تفرغت فيها للكتاب تفرغاً شبه كامل. المشكلة الأساسية في هذا النهج هو ما يسمّى في السينما بالمونتاج، أي بأيّ الفصول نبدأ، وفي كل فصل من أي نقطة نبدأ، ومع بعض الفقرات في الشعر والنثر والخرافة بأشكال عدّة. أمّا عن مجموعة الأشباح الرواة في روايتي، فكلّ حضور على الورق هو حضور شبحي، حتّى ما يسمّى بالشخصيات في الروايات، مهما بدت لنا في مخيلتنا واقعية وحية وحيوية وذات لحم ودم وعظام وأعصاب، فمكمن قوتها هو هذا الحضور الشبحي المصنوع من كلمات، لأنه يتيح لنا أن نستحضرها بخيالنا ونغذيها من وعينا ونشارك في صنعها وإنعاشها، بل إعادة خلقها من العدم أحياناً. لا يلزم أي حضور شبحي لقول الحقيقة، لكنّ النظرة المباشرة في عين الواقع نادراً ما تنتج فناً أصيلاً أو مختلفاً، ولا أتحدّث هنا عن الواقعية كمذهب أو مدرسة، بل عن رؤية الواقع كما يبدو في نشرات الأخبار والصحف والبيانات والإحصائيات. الرؤية التي تجرّد التجربة الإنسانية من كل تساؤل أو أبعاد روحية أو ألغاز. بمعنى ما، لن يُشاد الواقع أحدٌ إلّا غلبه الواقع. الرواية (الفنّ) هي الدرع الذي أتاح للبطل الأسطوري بيرسيوس أن يرى الحارسة الغورغونة ميدوزا لكي لا تقع عيناها عليه، فيتحوّل إلى حجر، أظنّ أنني قرأت شيئاً مثل هذا لدى كونديرا. النظرة المباشرة في عين الواقع، تحوّل المرء إلى حجر، تحوّل النص إلى حجر. ولا ننسى أيضاً أنه من دم الميدوزا، ولدَ بيغاسوس الحصان المجنّح، لعله الخيال الذي ينطلق ويسبح حراً في الوجود والأزمان.

> **النظرة المباشرة في عين الواقع، تحوّل المرء إلى حجر، وتحوّل النص إلى حجر**

■ تحضُر المذكرات الشخصية وتدوينات فؤاد في «كُلّ يوم تقريباً»، كمادة مركزية في عرض حكايته، ويأتي ذلك الحُضور مصحوباً بالانطباع العام حول «المذكرات» في الكتابة العربية، فالمذكرات لصيقة الاختباء، لأنها تُنذر بالكشف والقُرب الشديد الحميمية من صاحبها. كيف ضمّنت داخل النص الروائي بُعداً حقيقياً وحيوياً بوجود المُذكرات، سواء على لسان الراوي أو عبر فقرات منقولة، مع الحفاظ على ذكر أنّ «الكلام» هو صنعة الوهم؟

- لا شيء في السياق الروائي يمكن أن يتصف بالحقيقي، ولو قام نص روائي كامل على توليف سجلات ووثائق مختلفة لتشكيل سيرة شبه تسجيلية لحدث ما أو شخص ما. بمجرد دخول تلك العناصر في رحاب الرواية، تكتسب بعداً آخر، تكتسي بخفة وهشاشة الوهم ولكنها أيضاً تكتسب قوة الخيال التي لا غلاب لها. الحقيقة كلمة كبيرة، ولكنها تظل كلمة، يمكن أنّ المذكرات لا تعد بالحقيقة إلّا بقدر ما تعد بها الأحلام أو الأوهام أو الخيالات. كلها تتحوّل مع الكلمات وفي اللغة إلى شيء آخر. لذلك أرى الأمر من زاوية أخرى غير ثنائية الستر والكشف. طبعاً في المذكرات حالة حميمية لكنّ فيها أيضاً رغبة مضمرة في الاكتشاف والتعرّي والإعلان، ولو أمام مرآة الذات نفسها، فضلاً عن الآخرين الذين قد يطّلعون عليها ذات يوم. لكنها إجمالاً ليست مناط الكشف. النص كل (هكذا أفضل أن يكون) حركة بندولية بين الإفصاح والإخفاء، مثل لُعبة بيكابو التي نلعبها مع الأطفال الصغار، نواري وجهنا ثم نظهره فجأة، شيء من قبيل: أنا هنا... لحظة ولم أعد موجوداً... عدتُ هنا... ثم لم أعد موجوداً... وهكذا.

■ نقلاً عن الرواية، يبدأ فؤاد حياته من لحظة تيه مجازية وحرفية، ويُخبرنا الراوي وهو يُعرّفنا إلى فؤاد، أنّ لا حاجة إلى إلصاق أي مُسمّى عرقي أو ديني أو هوياتي به، فهو رمز إلى حالة وجود. يتشكّل هذا الرمز أكثر، بفعل الحكي الذي كوّنته فقرات توثيقية من المُذكرات، وأحداث واقعية وأحلام وصور أيضاً. كل ذلك ظهر في الرواية من دون تنقّلات درامية حادية، هل كان «التدفّق» في الحكي، مصحوباً بلغة سلسة وبسيطة، هو الأساس الذي شكّل حكاية فؤاد، رغم تركيبها وانطوائها على تقلّبات ومحطات كثيرة؟

- لا أظنّ أنّ أي إنسان يمكن أن يكون رمزاً لحالة وجودية ما. في هذا انتقاص من الروح الإنسانية وبخس لتجربة كل إنسان وأصالته. ومن الظلم أن تختزل الشخصيات الورقية أو الخيالية هي أيضاً لرموز، وإن كان هذا يحدث كثيراً في كتابات أدبية. من ناحية أخرى، تجريد فؤاد من ملصقات الهوية الجاهزة، وتعريفه عبرها لكونه مصرياً أو ذكراً أو مسلماً، مجرد محاولة من الأشباح للوصول إلى الجوهري والأساسي في الشخصية التي تحاول كتابتها، من دون التسليم لتلك التسميات التي قد تكون يلا معنى على النطاق الواسع، لكنّ معناها يتجسّد لدى كل إنسان يحملها بطريقة مغايرة تماماً. أظن أن تحرير الشخص والشخصية من جدران الهوية الشبيهة تلك هو عمل نبيل، ولو لم يكلّل بالنجاح لا في الحياة ولا في الأدب. نعم، لا تنقلات درامية حادّة في هذه الرواية، لا ماس كبرى ولا صراعات هائلة. أظن هذا على الأقل، وأظن أيضاً أنّ في هذا شيئاً من النجاح بالنسبة إليّ. كانت كتابة عمل روائي يتخذ مسافة معقولة وواعية من الحبكة والصراع وسائر عناصر اللعبة السردية التي نتعلّمها ونحفظها ونردّدها، ثم نعلّمها بعد ذلك لآخرين، هي شيء يستحق المحاولة، مهما كانت النتيجة.

■ يظهر الجانب الجنسي في حياة فؤاد أحياناً بُعيد حميمي، وأحياناً أخرى «مثل استمناء، سجين مرة بعد أخرى حتى يُصاب بالإعياء، ويغيب عن الوعي». الجُزء الأول من السؤال هنا عن تفكيرك أنت في فؤاد، والتعبير عنه بهذا الحياد، والقُرب الودود منه في الوقت نفسه. الجُزء الثاني من السؤال، يتعلّق بتنوّع علاقات فؤاد، فبغي ونادر وشلّة الوايلي، هناك حدّة ودقّة في أن تتشكّل الحكاية من فلك هذه العلاقات مع فؤاد، ولكن بالدرجة نفسها، يظل لفؤاد حضور ذاتي ومُستقلّ.

- أهم ما على الكاتب الذي يسرد قصصاً وروايات تجاه شخصياته هو أن يؤمن بها، يؤمن بوجودها أولاً، أو بإمكانية وجودها، إذ يمكنه أن يلتقت في مكان عام فيراها أمامه. وبعد ذلك أن يؤمن بقدرتها على التعبير عن نفسها، ثم ينصت إليها. ربما كان هذا جزءاً من تفكيري في فؤاد، ولا أظن أنّ ثمّة حياداً كاملاً في الفن. الموضوعية خُرافة جميلة، فكل شيء ينطلق من الذات يتلوث بها، بأدرانها وبالوانها وبكل ما يشوبها من عجائب. ليس ثمة حكاية كبيرة هُنا، بل حلقات متواصلة في سلسلة اسمها حياة، مجرد أيام، مجرد أشهر وسنوات، فيها تُنسج العلاقات وتتفكك. وهكذا. صورة فؤاد تتشكّل عبر ذلك كله، ومن خلفه، تستبين الملامح المتكررة في كل تلك الحلقات والنغمات المترددة في دفاتر يومياته لتشكّل له رسماً سريعاً إسكتش إبعد آخر بعد آخر. من دون إنجاز بورتريه زيتي نهائي واحد له يمكن الاعتماد عليه، يظل موزّعاً على عدد الصور والرسوم والإسكتشات.

■ يلوح الأمل في نهايات روايتَيك تحديداً رغم حُضور ملمح واقعي وذاتي كبير في كتابتك، تحديداً الروائية بحُكم إمكانية الاسترسال. حينما انتهيتُ من «كل يوم تقريباً»، تذكرتُ أنّه كان لديّ الانطباع نفسه في ما يخصّ النهاية في «في غرفة العنكبوت». تُذكرني جُملة سعد الله ونّوس «نحن محكومون بالأمل، واليوم لا يُمكن أن يكون نهاية التاريخ» بفؤاد وهاني محفوظ. هل ترى، عبر شخصياتك، أننا محكومون بالأمل فعلاً؟

- في جملة الختام من رواية «في غرفة العنكبوت»: «كان كل شيء ممكناً في هذه اللحظة»، ما مِن حُكم نهائي بأنّ الأمور ستتغير إلى الأفضل، بل من المحتمل أن يحدث العكس تماماً وأن يتكرر كابوس هاني محفوظ أو يتخذ شكلاً مختلفاً فقط. بعضهم رأى فيها نهاية متفائلة وهذا جيد، أو على الأقل لا يضرّ. من ناحية أخرى في ختام «كل شيء تقريباً»، ينام فؤاد على أمل أن يستيقظ إنساناً جديداً، ولكنه يستيقظ كما هو في الفقرة الأولى من الكتاب حين يكتشف الجرو إلى جانبه، فكأنّ أمله هذا مجرد عبث، مجرد لُعبة أو حيلة.

ليس من حقي أن أفرض الأمل أو اليأس على شخصياتي أو على القراء بطبيعة الحال. ليس من حقي أن أبشّر بالربيع في الشتاء ولا أن أدقّ أجراس نهاية العالم الوشيكة، كل ما أستطيعه هو أنني إذا شممتُ ريح الربيع تقترب، سأحاول أن أكتب عنها، وإذا سمعت قرع الأجراس، سأحاول أن أكتب عنها أيضاً. يعني كما يُفترض بكل كاتب أن يفعل.

محمد عبد النبي: الخيال العربي اقدم من «كليلة ودمنة»

قصيدة

تاجر الحكايات (*)

حسن عبد الموجود

طابور الذهب

حين اشتدَّ الغلاءُ بدأ شارع الجنينة يزدحم بالسيدات المُتَّشحات بالسواد. يقفن في طابورٍ متعرج، أمام دكان «مشغولات البطل الروماني»، لا يظهر منهن سوى وجوه حزينة تزيّنُها وشوم خضراء. تخلع إحداهن قرطاً، أو خاتماً، أو إسورة، أو سلسلة. تمدها بيدٍ معروقة ترتجف إلى الخواجة «بسطا» النحيف. يزن ثقلها في يده ثم يضعها على ميزانه الحسَّاس، ليرى إن كان تخمينه صائباً. أيام الأحاد يُخرج حصيلة المشغولات من صندوقه الخشبي. يرفعها فيسقطُ بعضُها على الأرض. يلملمُها ويضعُها فوق النار. يفكّر بسعادة أنه الوحيد القادر على تحويل أحزان مدينة بأكملها إلى سبيكة ذهب.

حلم

اعتاد حنَّا أن يحلم لأهله وأصدقائه ونحن جيرانه، ويروي لنا في الصباح ما رأه. في يوم مشمس طرَقَ بابَ بيتنا. فتحتُ له، فاندفع يحكي أنّ أبي الميت زاره في الحلم. سألته بعد أن فرغ إن كان أبي قد حمّله رسالة معينة، فمد يده إليّ برزمة، وفرك «العماص» عن عينيه، وهو يقول: طلب أن أوصل إليك هذا المال. مددتُ يدي والتقطتُ الرزمة. أغلقتُ الباب وأنا أفكر في تصرف أبي. لماذا لا يسلمني المالَ بنفسه ويفضّل أن يرسله إليّ مع الغرباء؟

الغيرة

أكلنا بقايا فطيرة باللبن أنا وأخي. وضعتُ أمي استقرتْ في حنجرته فانقلب حالُه إلى الغمّ والغضب. صاح وهو يتأمل الحيرة في وجه رئيس وزرائه: يقولون إن الشعب يكرهك. يريدون التنكيل بي عبر إجباري على طردك. إذا استجبتُ لهم صرتُ ضعيفاً، وإذا لم أستجب اعتبروني ديكتاتوراً. يحكُّ ذقنه مثلما يفعل كلما اتخذَ قراراً وأضاف: لكني مقتنع بحق الشعب أحياناً!

ثم نادى بأعلى صوته: يا مليم بك...

يدخل مليم بك خادمه الأثير وهو يُعرفُ في البلاط ووسط الوزراء وعامة الشعب بإيثار الملك له حتى داهمني حنق بالغ. قالت أمي بدهشة وهي تتفرّس الغضب على وجهي: أنت غيران؟ فقلت بغضب وأنا أدير ظهري لها: نعم!

الشطرنج الغيابي

يلعبه هذان السجينان في المُعتقل، كلما أمكن. كلٌّ منهما يتخيَّلُ الرقعة في رأسه. وبعد مدةٍ صمت ينطقُ أحدُهما بالخطوةِ التالية. دائماً ما جلستْ بجوارهما، أحاولُ معرفة من أين يجيئان بتركيزهما، وكيف يريان رقعةً غير موجودة؟ مضيا يحدّقان أمامهما كأنهما سيمضيان أبد الدهر في إكمال النزال. لم يكن يقطعُ الصمتَ سوى احتجاج أحدهما، على تحريك قطعة، لكنهما فجأة نهضا وأمسكا بتلابيب بعضهما، وأحدثا جلبة. كانا يشبهان عودَي قصب نحيفين يتعاركان، حتى خلَصتهما، وسألتهما بدهشة: ماذا حدث؟ فقال أحدهما مشيراً إلى الآخر بغضب: بعثر القطع لمّا شعر بقرب هزيمته!

قلق

لا إنسان أكثر بؤساً من امرأة مات زوجُها وفقدت ثديها وتدرّس مادة التربية الوطنية. تقف أمامنا بصدرٍ نصف ممسوح وملابس سوداء وبوجهٍ عليه حَزَن العالم وبوشم الصليب الأخضر على ذراعها، تقرأ من الكتاب، فنبدأ في الشرود، كأنها تنبِّئُنا مغناطيسياً. اختُطِفَ فجأة ثم عادت بعد شهرين أو ثلاثة. فهمنا لماذا غابت ونحن نطالع صدرها الممسوح بالكامل. لم تكن قلقةً على ما فاتنا، وكنّا مثلها غير قلقين.

ملك وكتابة

ضحك الملك فؤاد ولكنه تذكَّر الرصاصة التي في حنجرته فانقلب حالُه إلى الغمّ والغضب. صاح وهو يتأمل الحيرة في وجه رئيس وزرائه: يقولون إن الشعب يكرهك. يريدون التنكيل بي عبر إجباري على طردك. إذا استجبتُ لهم صرتُ ضعيفاً، وإذا لم أستجب اعتبروني ديكتاتوراً.

يحكُّ ذقنه مثلما يفعل كلما اتخذَ قراراً وأضاف: لكني مقتنع بحق الشعب أحياناً!

ثم نادى بأعلى صوته: يا مليم بك...

يدخل مليم بك خادمه الأثير وهو يُعرفُ في البلاط ووسط الوزراء وعامة الشعب بإيثار الملك له حتى على خاصته، يأمره بأن يُخرج عملة معدنية من جيبه ويلقيها على الطاولة. ويقول: الملك معناه بقاؤه في منصبك والكتابة ترحل.

يتحول وجه رئيس الوزراء إلى لمبة صفراء شاحبة، بينما تلوح ابتسامة غامضة على وجه مليم بك وهو يلقي العملة. تستقر صورة الملك من أعلى فيتنهد رئيس الوزراء. انحنى مليم بك ثم غادر، وتجرأ رئيس الوزراء فسأل: حقاً كنت ستطردني جلالتك لو كانت كتابة؟

فقال الملك: العملة الخاصة بمليم بك فيها ملك من الناحيتين يا أحمق!

ينفجر في الضحك من جديد حتى ينبح.

إفلاس

تصل إلى شركة «باتا» شحنة أحذية واحدة غالباً في بداية الصيف. لا أحد يدري كيف ذاع الخبر، يهلُّ الناس كالنمل ويقفون في طابور طويل بامتداد شارع «النقطة القديمة». يأملون ألا تنفد الشحنة قبل أن ينالوا حظهم. يصبح البائع بالخبر السيئ بعد دقائق. يتفسَّخ الطابور ثم ينقشعُ الناس كالدخان وأحدهم يتمتم: أصلاً أنا مفلس!

صونيا بك سليمان ــ «الحكواتي» على ورق ــ (مواد مختلفة على ورق ــ 2020)

القفل

أنَّه لم تقبل توسلاته. ضبطته يراقب أخته من فُرجة باب الحمّام وهي تستحم. خبطت يدها في صدرها وهي تصرخ: حتى الشيطان لا يفعلها.

قبَّلها في منتصف جبهتها، انطبع وشم «القفل الأخضر» من رأسها على شفتيه. حاول أن ينطق ليستسمحها، أو يصرخ ليخرجها من سكونها، أو يبكي ليستدرَّ مشاعرها، ولكن صوته انحبس في فمه إلى الأبد.

(*) أقصوصات من مجموعة بالعنوان نفسه صدرت حديثاً عن «الدار المصرية اللبنانية» في القاهرة.

فصل من رواية

أشجار القلعة (*)

نجوى الموسوي

يُحمر الشقيف، جنوب لبنان، 1970.

لو علمت «حسنة حزيبي» أنّ الغيوم السوداء ستحتشد في سماء أسرتها، هل كانت قراراتُها ستختلف؟

لو عرف زوجها علي عَلّيق ما قد يكسره ولدُه جودت من عادات شبه مقدّسة لدى كثيرين، ما الذي كان سيُغيّره من رتابة الحياة عمّا كان سائداً من طرقِ العيش والأمنيات؟

تقف حسنة مبتسمة في درب عودتها من الحقل إلى الدار، تضع عن رأسها وعاءً ضخماً ملأته بأوراق «العريش»، تتأمّل شجيرة عَلّيق تمتدّ خلف الصخور؛ تتحوّل فروعها جذوراً ثم تستنبت فروعاً جديدة، وهكذا رأت هي زوجَها؛ غصناً من عائلة تُشبه اسمَها تماماً، يعيش معها أيّاماً تُشبه أيّام عائلات القرية، على مرمى حجر من «قلعة الشقيف». كان لهم أقرباء وجيران، كلّهم لم يتوقّعوا ما سيمرّ عليهم، وما سيجعل زمان الضيعة ذكرياتٍ متحوّلة كجذور العلّيق.

زمان الضيعة ذاك، تعدّدت مشاهده عند الأسرة المُزدحمة، تعدّدت أشغاله، أمنياته، وأفكاره.

هنا أبو حسين ينهض فيجد زوجته حسنة قد نفضت نعاسها، وجاءت من كرم العنب بالأوراق، يبدآن معاً بإطعام الماعز والأغنام، وحلب البقرات بأيديهما؛ إذ لا آلات عندهما ولا هي يحزنون». ما إن تشتدّ أشعة الصباح فوق الحجر والمدر، وتأتي بدفئه، حتى تحين اللحظة التي تُحدّث من أجل راحة الرجل والتقاط أنفاسه، فتناديه لفطوره، وهو يهمّ بإخراج الدجاجات من القنّ، شعاره مثل شعبي: «لا تحبس نفَساً أنت قادر على أن تحرّرها».

يستيقظ أفراد البيت تباعاً. يتعلّمون في المدرسة نفسها، يزرعون معاً، ويجمعون الغلال معاً. حين يأتي يوم توزيع بطاقات العلامات في مدرسة يُحمر الرسميّة، يلبس جودت أنظف الثياب، ويلمّع حذاءه؛ فهذا يوم مختلف عند جميع التلاميذ، ينادي الناظر:

- جودت علي عَلّيق، ناجح.

نعم، «خلص السيرتيفيكا»، رغم ظروف الدرس المتقطّع مع متاعب العمل، يركض نحو والديه، يصفّ قدميه فوق التراب، ويمدّ يده بالشهادة، ينظر إلى الأعلى وإلى جانبيه، كأنه يداري سروراً أو فخراً خُفيّاً؛ لقد تكلّل الانتظار فرحاً.

يصرّح صديق الطفولة «فارس» مبتسماً لنجاحهما معاً: «النجاح إنجاز بحدّ ذاته!».

فارس وجودت متصاحبان ومتجاوران منذ نعومة الأظافر، لكن هل علما ما سيفيض في شبابهما من الصحبة والجيرة؟ يضحكان، ثم يعودان بعد برهة إلى رمي البذور في الأرض أو تقليمها أو سقايتها.

- ما بتتعب يا زلمي؟

يسأل الصديق ضاحكاً، وهو يعرف الجواب؛ فحيّ يتعب جودت من زرع، ينطلق إلى حصاد زرع آخر، وحيّ يتعب من رعي المواشي، يبدّل عمله إلى المشاركة في بناء الغرف التي يضيفها الأهل إلى السكن، غرفة إثر غرفة. هذه هي الولدنة: عمل وعمل!

يتفتّح الربيع، ويفوح عطره. يعدو جودت بين أفياء أشجار يُحمر. اشتهرت هذه الأفياء بالزيتون والتين البري والغار. كم سرح الصبي بين عشب المردكوش، وإكليل الجبل، والعبرزقان والطيّون، يتمرّغ عليها، ولكنه يحنو على الدحنون وشقائق النعمان!

عندما تحين فرصة والأهل إلى الثوّار أيّام الفرنسيّين، وقتها، تلقّى صفعة من مُقرّبين، وشابة أسلمته إلى الجنود؛ أنهكت قوّته في ليلة تعذيب وتحقيق، وتلفّظ بمقولةٍ ردّدها في ما بعد أيضاً: «هالطريق مليان غدر يا إم حسين!».

تمسح وجهها متنهّدة، وتُفكّر: ما أطيب قلبه! ما رأه من خيانة بعض المدّعين دفعه ليقول ما قاله، ولكنه لم يمنعه من احترام الصادقين.

وظلّت تراه غصناً أخضر في عينيها الواسعتين الخضراوين، تراه ليّناً متسامحاً، لم يؤلمها بفعل، وإن حكى ما يزعج فسرعان ما يجبر الخاطر كما يجبر أبوه كسور العظام.

هناك، كثيرٌ من العجائز كانوا حولهم، يصلّون ويصومون، لكنهم لا يُجبرون صغيراً على فعل ديني، ولا يفرضون القوانين على الأولاد لكي يُصلّوا ولا لكي يتركوا الصلاة إن فعلوا. واعتاد الأبناء أن ينظروا بعيون مفتوحة؛ تحفظ ذاكراتهم صوراً، منها ما يدخل قلوبهم، ومنها ما يعكّر صفوها، فيسألون عنها. هنا «حريّة» تعني وصول «الأوكسيجين» إلى أدمغة البنين والبنات، وهم يكبرون، فيكتشفون ويعملون، ومنهم جودت الذي سيبهر الآخرين بغير المألوف.

من يرى جودت الصغير وهو ابن إحدى عشرة سنة، يراه مصفّفاً شعره الداكن اللامع، يفرقه نحو اليمين. فيبرز حاجباه المتباعدان الطويلان، بالصراخ، فيشير جودت بالصمت، واضعاً أنامله على شفتيه، ثم يصطادها، ويمدّ يديه إلى صديقه ليحظى بحصّته.

ما كانا يفعلانه هو ما أسماه لاحقاً «هواية» أو «حرفة». الصيد كان لعبتهما، وكان معيشة وطعاماً. الشاطر كان يقتني طابة، لا، بل ربما المُترف. فلا وقت لدى أبناء المزارعين لمثل رياضة «كرة القدم» التي ستنتشر في الضيعة بعد عقود.

ما إن يترك الصبي جودت النهر حتى يمضي بين الأشجار في حقول الشقيف، التي يسمّيها الأطفال «غابات»، خصوصاً من ناحية أرنون. يمرّ مع رفيقه أمام جامع القرية الصغير، لا يكاد يُسمع صوت من الداخل. أحياناً «يمبّلان» إلى الفناء الهادئ؛ يستطلعان المكان والعجائز هنا وهناك، ويخرجان. أسراب «الدوري» في ساحته، تغري بالاندفاع نحو البيت لأخذ العدّة، وللذهاب إلى صيد العصافير.

إن عاد الخريف تُقضى النهارات في أحراج الزيتون، لينجز التلاميذ «التحويش» في موسمه. وسرعان ما يرتدون زيّ المدرسة، ويمشون إليها. يركض جودت فور إكمال الفروض إلى صيد العصافير، وتقليم المساكب وقطف ما نضج من الخضار، يحتضنها كأنه والد يحضن طفله. تلاحقه ضحكات الطفل رفعت. هذه الخيرات حياة انتمى إليها، وعرفها سحراً في عيون من حوله.

إن حلّ الصيف تُضاف إلى النقاط دفئه أعمال مختلفة؛ من ترصّد السمك وصيده في النهر، إلى القطف في كروم العنب، وشكّ أوراق الدخّان المتحوّلة إلى اللون البني. وقت الجفاف، في الفجر، وعند الصباح يبدأ عمل الشكّ.

تُشكّ أوراق التبغ بالمبايار والخيطان، تعلّق «الرُبُط»، أي مجموعة الخيطان بسقف الغرفة لتتعرض للهواء وتتشف تماماً. يأتي موسم «التصفيح» ثم «التدخين» في الطرود، وبعد ذلك تسلَّم «للريجي». جودت يعمل في «الدخان» مثل إخوته الذكور، يصبر أكثر، لا يتململ ولا يُسوّف. يستطيع التحمّل طويلاً جالساً مع العاملين والعاملات من دون تذمّر. تغيّر نوع عمل الفتيان مرّة جديدة، حين وضع جودت عَلّيق خمسة عشر عاماً خلف ظهره، ولم يترك زياراته الدوريّة إلى النهر؛ ظلّ يشاكس «السمّيكات» و«البوري»، ويصغي إلى بوح الماء المتدفّق، ولكن، آن أوان البدء في صناعة الفحم، والنهر هو المكان الأنسب لتلك الصناعة، واسع كفاية في الهواء الطلق، يمكن إشعال النار عند ضفافه، من دون حدوث أي أضرار على السلامة العامة.

طلوع السلم درجة درجة، ولا مجال لانطلاق عمل «المشحرة» قبل خطوات تمهيديّة وأساس. يجب أن يكوّم الخشب ويُغطيه بالتراب ثم يعطيه شعلة، ويتركه في حالة احتراق للقشرة الخارجية عدّة أيّام؛ العمل يعلّم الهدوء والانتظار. يحترق القليل من الخشب بسبب دخول القليل من الهواء على مدى نهارات وليال. يسهر جودت في الطبيعة على ضوء القمر أو «سراج الكار» أو «لوكس الغار». يزوّد الجزءُ المحترقُ بقية الخشب بالحرارة اللازمة ليحترق ويتحوّل إلى فحم. إن لم يحترق الخشب على حرارة معينة فلن يكون نافعاً.

كم أحرق الفتى الأكوام، وغرق في «الشحتار» الأسود! لا حصاد من دون ألم. كم علا السعال من صدره، كما يعلو دخان الاحتراق نحو السماء!

تمرّ خيالات في خاطره، وهو يتأمّل السماء ومساحة التقائها بالجبل، يغشاه الضباب الذي يخفي الوادي، يتأمّل وكأنّه يريد أن يعرف ماذا يُخبّئ حيناً بعد حين حتى كبُر وغلظ صوتُه!

لم يدر كم ستكون بين عمليات التفحيم وحياته القادمة أوجه شبه. كان يجلس منتظراً أيّاماً حتى تحترق القشور الخارجية لما كوّمه من الأعواد.

بعد تقطيع الفحم يأتي نقله إلى مكان مناسب، ثم تأتي مرحلة البيع والشراء لتأمين اللقمة وطموحاتٍ مفتوحة.

هل مَلّ الصبيّ اختلاف الأشغال من الصيد إلى التحطيب إلى صناعة الفحم؟ لم يسأله أحد، لكن ثمّة أسئلة أخرى بدأت تغزو جمجمته، صار يطرحها على نفسه، فتى مفكّراً أو محلّلاً، يطلقها أمام من يظن أن لديه جواباً جديداً أو مقنعاً، وثمّة أسئلة ستتحوّل إلى «نوعية» متبدّلة في سنوات لم تطل كثيراً.

وما برح جودت يسرح في عمله، كما يسرح في الشروق والغروب والوادي والجبل والطرقات والبيوت والنهر والشجر وحياة الأسماك والطيور، كأنّه يناجيها مناجاة خفيّة، كأنّه يسمع سكونها ويفهم لغتها، ويدور بينهما الغزل والتغنّي بالجمال!

كلا، لم يكن الوالدان يعلمان أن ملامح تغيّر اثنيهما «جودت عَلّيق» ستظهر، وستحلّق أمنيات غريبة، وسيصبح حلمه في توفير فضاء لتلك الأمنيات، وستتوجّع الأسرة بغصّته، وستتلوها غصص، وستتلوّن أعواد العَلّيق وثماره، وسيُنسيها تغيُّر دهرهما كلّ تلك الصعوبات في حياتهما القروية.

(*) الفصل الأوّل من رواية بالعنوان نفسه للكاتبة نجوى الموسوي، مستوحاة من سيرة الشهيدَين جودت ورفعت عليق، صدرت حديثاً عن «دار أسفار للثقافة والإعلام» في بيروت.

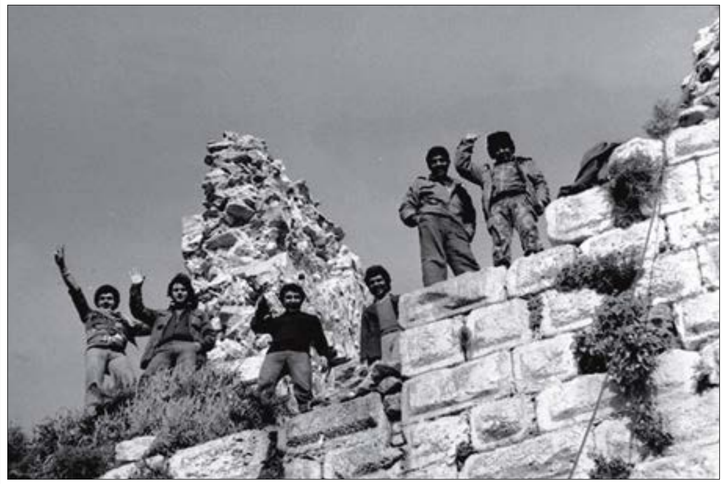

قلعة الشقيف (وكالة وفا ــ 1980)

قصيدة

أنا المسيح... اخترتُ هذه الأرض

نسرين حريز *

اخترتُ هذه الأرض كي أتجسّد إنساناً...
واخترتُ نهر الأردن كي أتعمّد بمائه...
واخترتُ البرّيّة كي أصلّي تحت أغصانها وفوق جذورها...
اخترتُ أن أتكلّم الآرامية... لغة الشعب المحبّ للإنسانية...
واخترتُ أنا إنسانٌ مصلوبٌ أن تكون كلماتي الأخيرة مناجاةَ إيل...
اخترتُ عصارة الكَرمة التي عاشت على حبّ الأرض والمطر وشفاعة البعل كي أملأ بها جرار العرس في قانا...
واخترتُ تلاميذي من هذه الأرض واخترتُ دور كلّ واحد منهم...
والتلميذة الثالثة عشرة التي لم يعترفوا بها رسمياً، اخترتها امرأةً رجمت بمحبتها وصدقها فكرة القصاص وزرعت بتجربتها فكرة المغفرة...
جئتُ إلى هذه الأرض المقدّسة التي أسمّتْ إحدى مدنها باسم السلام...
جئت إلى أرض قبل أن أتجسّد فيها إنساناً كان أهلها قد عرفوا معنى الفداء وتمرسوا به... وعرفوا معنى التضحية وتمرسوا بها...
جئت إلى أرض احترم فيها أهلها الطبيعة فقدّسوا دورة حياتها...
جئت إلى أرض فيها المغاور تحتضن الثوّار فاخترتُ أن أبدأ ثورتي من اللحظات الأولى في تلك المغارة...
اخترت أمي... واخترت يوسفَ أن يكون أباً لطفولتي وأن يكون الرجل الذي أمن وصدّق وقبل المهمّة...
تجسّدت إنساناً على هذه الأرض لأتوّج ما كان في هذه الحضارة من قيم واقتلع ما قام بتشويهه المارقون أعداء الإنسانية...
جئت إلى هذه الأرض حيث عرفوا الزراعة والتجارة والإبحار والفنون والأدب والشعر والحساب والفلك والموسيقى وعرفوا الإبداع والاكتشاف وتشاركوا معرفتهم مع العالم أجمع...
فهل من مكان أجمل من هنا أن أختاره كي تنطلق رسالتي إلى كلّ بقعة من هذا الكوكب لتزرع فيها المحبّة؟
بعضهم يريدون أن تكون طبيعتي فقط إلهية...
بعضهم يريدون أن تكون طبيعتي ثالوثاً من الأب والابن والروح القدس...
بعضهم يرى أنّي لست إلهاً ولا ثالوثاً مقدّساً بل يعترف بي رسولاً...
وبعضهم من يعتقد أنّي لم آتِ أصلاً...
أنا أقبل أن يتصوّروني كما يريدون ولكن ما يهمني هو أن يفتحوا قلوبهم وعقولهم لهذه القيم التي ناديتُ بها وأن يعملوا لها...
أتأمّل ما يجري هذه الأيام في موطني فلسطين، فيعيد إليّ لحظات التعذيب والصلب عندما اخترتُ أن أتجسّد إنساناً...
منذ أن أتى الجلّادون مجدّداً إلى موطني، وأنا أرافق أرواح الأطفال إثر مجزرة تلو أخرى...
بعد ألفي عام ونَيّف لم تصل إلى سلالة الجلّادين بعضٌ من كلماتي...
وبعد ألفي عام ونَيّف ما زالوا أعداء الإنسانية...
وما زال الشهداء في موطني يناجون إلهي كلٌّ على صليبه... كما ناجيته على صليبي...
لقد كانت روما القوّة العظمى يوم صلبني أعداء الإنسانية وبرّات نفسها من دمي... ثم جاء يومٌ غابت عن إمبراطوريتها الشمس وبقي نُور تعاليمي ساطعاً...
واليوم أميركانيا وأذنابها يبرّئون أنفسهم من دم أطفال غزّة الذين يُذبحون على أيدي أعداء الإنسانية أنفسهم، وقريباً سياتي اليوم الذي ستغيب عن إمبراطورية «الهمجيّة» قوّتها الوهمية
وستبقى فلسطين، موطني منارة المحبّة والسلام للعالم أجمع.

* لبنان

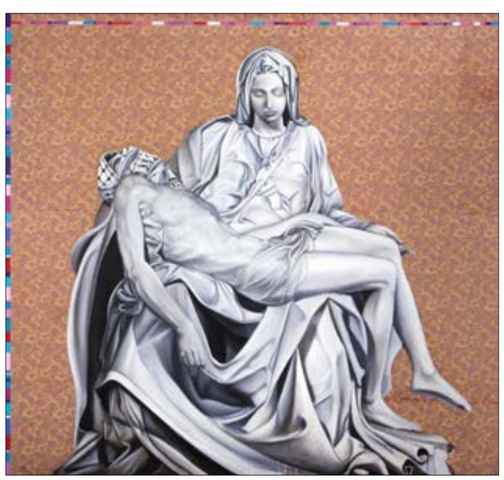

اسامة حبلاب ــ «بيبتا الجديدة»

فلسفة

ميشال أونفراي يُنقذ نيتشه من براثن المحرّفين

بول مخلوف

بعد عناء طويل من البحث عن «المخطوطة الضائعة»، استطاع الفيلسوف الفرنسي ميشال أونفراي (1959) في نهاية المطاف أن يجد النص الذي سبق أن كتبه عن فريدريك نيتشه عند صديقه الذي عهد إليه بنسخةٍ واحتفظ الأخير بها. كان قد مرّ على كتابة ذلك النص خمسة عشر عاماً حين قرّر أونفراي العودة إليه لأسباب عدة، قد يكون أحدها الاحتفاء بخطيئة الشباب. كَتَبَ هذا النص «المليء بفصاحةٍ طفَانَة»، كما يعترف، في أواخر عشرينياته، قبل عامين من انهيار الاتحاد السوفييتي (1988)، في مرحلة اتسمت بتقلّباتٍ وتغيّرات ثقافية وسياسية، بيد أنّ جميع الاتجاهات الفكرية المتناحرة آنذاك اجتمعت، إما على سوء تفسير نيتشه وإما على توظيفه على نحوٍ خطأ. لعلّ الدافع الأهم وراء كتابة أونفراي ذلك النصّ، الذي تحوّل في ما بعد إلى كتاب (2005)، ليس الإجابة عن سؤال دائماً ما طُرح عليه باستهجان: «كيف يمكنك أن تكون نيتشاوياً؟» فحسب، بل الاشتباك مع مرحلة الثمانينيات التي امتازت بمناخ «الإلحاد الهادئ»، وهو مفهومٌ ابتدعه جيل دولوز حيث الفلسفة «لا تعني سوى الإلحاد، ولا شيء آخر غيره». وقد وقع نيتشه ضحيةَ هذا الفهم المضلّل، وأسهمت في هذه الخطيئة شقيقته، وحربان عالميتان، وتحريفات إيديولوجية، ومواعظ أخلاقية جعلت منه ومن إنسانه الأعلى رمزاً للإرهاب. يأخذ ميشال أونفراي على عاتقه مهمة إنقاذ نيتشه والنيتشوية من سيطرة الأعداء. وهو لم يخفِ منذ الصفحات الأولى أنّ كتابه «فنّ من فنون الحرب، هذا الكتاب محصّلة معركة». سيتفرّغ في هذه المعركة لقراءة تأويلية حصيفة لنيتشه، منقذاً إياه من براثن المحرّفين الذين استفردوا به طويلاً، لكن قبل ذلك سينقضّ على معاصريه. على هذا النحو، متمرّساً بعتاد نيتشويّ، يهاجم أونفراي فلاسفة زمن «الإلحاد الهادئ»، هؤلاء الذين ينتهجون الإنسانوية في حين أنهم «المؤمنون الجدد»، أمثال أندري كونت سبونفيل وميشال سيريس، وأولئك الحداثيين أيضاً، أمثال جاك دريدا وجان لوك نانسي، حيث فلسفة التبارين ـ كما يرى أونفراي ـ متواطئة مع الفضاء الديني والإلهي، إذ إنّها تطرح عليه باستهجان: «كيف يمكنك أن تكون نيتشاوياً؟» فحسب، بل الاشتباك مع مرحلة الثمانينيات التي امتازت بمناخ «الإلحاد الهادئ»، وهو مفهومٌ ابتدعه جيل دولوز حيث الفلسفة «لا تعني سوى الإلحاد، ولا شيء آخر غيره». على أنّ هذا الفضاء بالتنويعات الفكرية التي تنضوي تحته كافة، يزعم أنه من ترسّبات الحداثة، فالإنسانويون والتفكيكيون وغيرهم هم أحفاد الأنوار، بيد أنهم ضد الأنوار الجديدة، فالتاريخ القديم ما زال راهناً، وهذا يعني أنّ الحداثة، كما يرى أونفراي، لم تتأسّس بعد، فالأنوار الحقيقية لا تُضيء من دون نيتشه.

لا تاريخ بل صيرورة دائمة لا غاية لها سوى ذاتها، لا تعرف الإرهاق وتُعيد وتتكرّر. إنّها العود الأبدي حيث «الماضي والحاضر شيء واحد». صيرورة تتكرّر بلا نهاية لماهيتها: إرادة القوة تلك التي تُنتج الواقعي. لذلك، فقد شهد العالم تحوّلات عدّة اقتصرت على الشكل، في حين أنّ الإيمان وجوهر الإلهي استقرّا. يرصد أونفراي تلك المحطات ويتوقف عند التحوّلات الطارئة. يقتبس من نيتشه ويطالع بدايات التحوّل ولحظة استقراره: بدأ حين تبنّى العقل فكرةَ المثال الأعلى والعدول عن الحياة من الأفلاطونية، التي تحوّلت بعد ذلك إلى دين، فأخذ شكل المسيحية، لتنتهي مع الاشتراكية آخذةً من السياسة شكلها.

ثمة لحظة فاصلة قد تبدو أشبه بأبوكاليبس: الفلسفة قبل نيتشه ليست كما بعده. الانعطافة تبدأ معه، ولو أن الطريق الجديد لم يزِ النور بعد. يجنح أونفراي أسلوبياً ويكتب «إن نيتشه يبطل رمزانية النور أو الأنوار، لتشرع معه الفية من الأنوار الجديدة: إشعاعات باردة ومطهّرة تتساقط من الشواش البدئي، وتغمر بصقيعها التبلورات المؤقتة». العالم كان زاخراً بتفسيرات مقدّسة ومكسوّاً بالأساطير، إلى أن جاء الفيلسوف الألماني وهدّم بمطرقته الطبقات الزائفة التي حوّلت العالم إلى رقعةٍ واهية سوّهت الوجود وكبحت طاقاته. يشير أونفراي إلى الأثر المزلزل الذي أحدثه نيتشه على صعيد النظام البدئي، وتغمر بصقيعها التبلورات المؤقتة». العالم كان زاخراً بتفسيرات مقدّسة ومكسوّاً بالأساطير، إلى أن جاء الفيلسوف الألماني وهدّم بمطرقته الطبقات الزائفة التي حوّلت العالم إلى رقعةٍ واهية سوّهت الوجود وكبحت طاقاته. يشير أونفراي إلى الأثر المزلزل الذي أحدثه نيتشه على صعيد النظام البدئي، وتغمر بصقيعها التبلورات المؤقتة، حتى الطريق إلى الحداثة كما رسمه نيتشه طوبوغرافياً تنطلق من الإلحاد وفقاً لما يؤكده أونفراي: التخلّص من الإله وسطوته، ومعرفة أن العالم مقاد من إرادة القوة. كان العالم حلماً ثم موضوع وصف، اختلف الأمر مع نيتشه وصار العالم عارياً؛ قد يبدو أنه قارة جليدية يغمرها الصقيع بسبب انتزاع الطابع المقدّس عنه، لكن العالم عليء بالتدفّقات والحركة، ولنفهمه ونعيش به علينا أن نؤوله في البداهة؛ أي في الواقعي بوصفه حقيقياً، وعلى المرء الإمساك بالشدّة الصارمة للإرادة. إنّها الحكمة التراجيدية التي تنصّ على القطيعة التامّة مع ميتافيزيقا أرست نفسها لقرون، جعلت الإنسان صاغراً ومخدّراً بالأوهام، وبالتحلّي بهذه الحكمة التراجيدية كما يؤكد أونفراي. ينطفئ الضوء عن الأنوار الخادعة التي تشبه ظلال كهف أفلاطون. لكنّ هذه النظرة المرعبة والسوداء (انهيار العالم القديم كما انهيار معه وصفه البشري الشكل المرافق له - الواقعية القديمة البائدة - لمصلحة تجريد جديد غنائي) ليس فيها من الياس شيء، فهذه التراجيديا ليست مأساةً، إنما هي اختيار للإنسان بأن يتفوّق على نفسه، ويعدو نحو الإنسان الأعلى أولاً، ثم إنها تمهيدٌ لفجر جديد، هو في رأي أونفراي الحداثة نفسها. غير أنّ الإنسان الأعلى هنا ليس جندياً منتسباً إلى الحزب النازيّ، مثلما أنّ استعانة نيتشه بالحرب لم تكن سوى استعارة، ولغة نيتشه حادّة كالنصل، بل تلك النظرة المتأثرة بشوبنهاور، حيث الإنسان ليس حراً بل مجرّد كسرة، محكوم بالقوى وتدفّقات القوى وإرادة القوى، غير أنه في الآن عينه احتمالٌ لزرادشت مرجوّ، أي للإنسان الأعلى، في حال فهم وجوده وتقبّل العالم الذي يعيش فيه وسعى إلى تجاوزه. يبقى أنّ كل ذلك منوط بتلك الإرادة التي تقبل إرادة القوة. الولادة الجديدة تشترط موتاً، بل عملية اغتيال.

المطرقة إذاً هي الوسيط الذي من دونه لا يمكن التحرّر من وجودٍ مثقل بالأوهام. المطرقة بالتالي، تفتح قبر العالم القديم، وتؤدّي وظيفة المحراث الذي يفتح طريق العبور نحو جغرافيا جديدة. ذلك أنّ الإنسانَ ميتافيزيقياً وإيديولوجية صوّرت الأرض مكاناً موبوءاً، والجسد آفة والحياة بؤرة ملوثة. إنّ همّ الإنسان الأعلى أن نكون شعراء حياتنا، أن نمارس الضحك، والرقص، والتحلّي بالنسيان وحبّ القدر. يبدع ميشال أونفراي في قراءة الفيلسوف الألماني الذي رافقه منذ أن كان مراهقاً. يبرع في رسم ملامحه من دون إجراء عمليات تجميل من شأنها أن تجمّل أو تشوّه وجه نيتشه. يُظهره كما هو «رمز للتجوال الأبدي، ومفكر المنازل المتبدلة، والطواف غير التائب»، في كتابة متدفّقة، متفجّرة كالديناميت، تتخطّى نفسها، كأنها تمرين على الإجابة: كيف يكون المرء نيتشوياً؟

يعيد التذكير بنظرة نيتشه إلى الإنسان المتأثرة بشوبنهاور

رواية

عدي الموسوي: الأدب المقاوم اهتدى إلى ضالّته

محمد ناصر الدين

«والآن وأنا أنساب بين جبل عاملة والجليل، أراهما تداخل أرض، صوتاً وصدى، تيناً وزيتوناً، شعوباً وقبائل تلاقوا وتعارفوا، فمنهم الكريم التقيّ ومنهم اللئيم الشقيّ، وبين هذا وذاك أسرار وأساطير، والأسماء فيها رموز سحرية، بل شرارات إذا ما وجدت من يقدح زنادها فإنها تضرم حرائق الذكريات وصورها». مع رواية عدي الموسوي «ياقوت من خوابي الشقيف» الصادرة أخيراً عن «دار البيان العربي»، يمكننا القول بثقة إنّ الأدب المقاوم قد اهتدى أخيراً إلى ضالّته في وقت ولدت فيه المقاومة - ولا سيما الإسلامية في الجنوب اللبناني - في أزمنة التباس كثيرة، بين الديني والعلماني، الديني والطائفي، المحلّي والأجنبي، إلى جانب الصراعات المحيطة بها من تقاتل مصالح عسكرية واقتصادية عظمى وتنازع عرقي ولغوي وقومي ومذهبي.

يستبطن عدي الموسوي روح المقاومة على مرّ التاريخ ليبدأ روايته من حصن الشقيف في أعالي جبل عامل حيث تقف ثلة من عسكر الأمير حسام الدين بشارة المدافعين عن القلعة القائمة على كتف الليطاني وترفض تسليم القلعة لفرسان الداوية الصليبيين، بعد تسوية عقدها معهم أحد الأمراء الأيوبيين ضمن صراع ورثة صلاح الدين الأيوبي على المُلك من بعده. يلجأ الموسوي إلى تقنية سردية متقنة، إذ ينكشف البصر لبشارة الصبان، الذي يستشهد في القلعة، استناداً إلى الآية القرآنية «لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرُك اليوم حديد»، التي يستلهمها الصوفيون في مقامات المكاشفة، لتنتقل روحه ذهاباً وإياباً في التاريخ والجغرافيا قبل ولادته وبعدها بشكل أثيري شفاف. ويروي تاريخ عائلته ونسبه الذي امتزجت فيه دماء المقاتلين التركمان والأرومة الأصيلة لأهل جبل عامل. في سرد ثلاثي الأبعاد، تتشابك سيرة التركمان السلاجقة الذين قاتلوا الروم والفرنجة، ولا سيما في معركتي ملاذكرد وموقعة سهل سرمدا قرب حلب، بسيرة العامليين الذين رزحوا طويلاً تحت نير الاحتلال الصليبي لبلادهم التي كانت بمنزلة الغلاف الحيوي لبيت المقدس، وتنظيمهم للمقاومة السرية ضد الصليبيين في نواحي صور.

تتقدم رواية الموسوي لتشبك تواريخ البطولة والرفض بعضها ببعض، لتروي لنا الكثير من وقائع التاريخ مثل حصار صور وسقوطها بيد الفرنجة وانتصار صلاح الدين في حطين ثم نكسة جيشه في معركتي أرسوف وعكا، وتواريخ الصليبيين في عكا وصيدا وصور من دون أن تكون رواية تاريخية مثل تلك التي نعرفها مع جرجي زيدان أو غيره، مع ما يقتضي هذا الفن من التسلسل التاريخي والأمانة الحرفية في نقل المعارك والوقائع، إذ يكتنفها الكثير من الرمزية مثل تلك الياقوتة الحمراء التي يحرص الفرسان المقاومون أبَاً عن جدّ على حفظها وصونها من الجد الأول «مافي جقمق» مروراً بحفيده بشارة الصبّان الذي تبصر روحه كتيبة «الجرمق» في المقاومة الفلسطينية تقاتل ذوداً عن القلعة، والشهيد محمد حميد أو «الشهيد الحي» الذي اشتبك مع كتيبة كاملة من القوات الإسرائيلية عند أسفل القلعة. يكمل الموسوي بذلك البعد الثالث والأهم في الرواية والمتمثل في ربط السرد مع الملحمة البطولية للمقاومة في جبل عامل منذ زمن الاجتياح وحتى التحرير: ليست الياقوتة سوى صورة رمزية للمقاومة التي يبدّل دونها الأبطال والشرفاء والفرسان وأهل الأرض الغالي والنفيس، وليست القلاع سوى سجلّ وذاكرة لفعل النضال والرفض، إذ تقوم الصلة بين قلاع الشقيف وصور وحلب: «هل شعرتم يوماً، يا صحبة التطواف، بأنّ هناك قرابة ونسباً بين القلاع والحصون؟ يشعر كثيرون بها حين تنقلهم تصاريف الدهر من أرض إلى أخرى، فإذا طالعوا ما استجمعوا كل مهاراتهم بالمقارنة لإيجاد الشبه بين ملامح برج مكين باخر في قلعة من القلاع، وبين تفاصيل بوابة هذه القلعة ومدخل ذلك الحصن، فيغبو الواحد منهم كمن يستنطق غمازة الذقن، وتقوّس الحاجب، ونمش الأنف... هكذا الأمر هنا مع قلعة حلب، أبصرُ حجارتها الشهباء، فأرى فيها حصن الشقيف الذي تفصله عنها فجاجٌ وسهول وقفار وجبال».

تتشابك سيرة التركمان السلاجقة الذين قاتلوا الروم والفرنجة بسيرة العامليين

بالحرص على عدم تهميش العنصر التركماني في الحضارة الإسلامية، ولا سيما في صفحات الجهاد ضد الغزاة الصليبيين، واستحضاره صوراً مشرقة من وقوف المسيحيين المشرقيين إلى جانب إخوانهم المسلمين في مواجهة الغزو الصليبي الاستعماري، يحرص الموسوي على توسيع دائرة المقاومة لتشمل جميع الرافضين للاحتلال والهيمنة من الزمن الصليبي حيث «عسكر كثيف يطوق الحصن (الشقيف) ويدكّه بقذائف المنجنيق، فتهوي راية إلى الأبد، وتعلو تارة وبهلّاليها الأبيضين»، مروراً ببطش أحمد باشا الجزار الذي يقتحم جنوده الحصن «ويخرجون منه أكداساً من الكتب والمجلدات ويقتلعون بابه المدرّع بالحديد ويحملونه على عربة ثم تندلع في الحصن النيران»، ثم رحيل العثمانيين وقدوم الغزاة الفرنسيين... ليبصر الراوي «أدهم خنجر يأمر رجاله بالحذر والاحتماء، فيسارعون إلى الخندق الصخري المحفور أمام الحصن وقرب الأحجار الصخرية المنحوتة وشمالاً عند الروابي التي تلامس بركة ماء كبيرة، أرى عسكراً بخيول ومدافع، على وجوه الضباط سحنات تذكرني بالفرسان الفرنجة الذين دائماً ما قاتلناهم بين صور وعكا وبيروت ومرج العيون، واليوم ترفرف فوقهم راية مثلثة الألوان»، وانتهاء برحيل المحتل الإسرائيلي عنها ذليلاً بجرّ أذيال خيبته. إذ يبصر بشارة الصبان اجتماعاً لعدي وصحبه عند حصن الشقيف عام 2000 على منصة «إذاعة النور»، فيتمنى لو كان قادراً على اختراق الحجب وإخبارهم بأنّ «هذا الحصن قد عرف حكاية صمود جمعت رجالاً من أرض عاملة والجليل واليمن وحتّى من ديار بكر».

«ياقوت من خوابي الشقيف» هي رواية المقاومة بامتياز، المقاومة المشرقية والإسلامية والفلسطينية في مواجهة اللحظة المتوحشة الغربية والصهيونية. رواية من يتعمّد صنّاع الأكاذيب اليوم طمس سيرهم من كتب التاريخ، والتعتيم على صفحات نضالهم المنطلقة من قيمهم وتراثهم وثقافتهم لمقارعة الغزاة والمحتلين مهما تعدّدت وجوههم ورايـاتهم، وللفكر الظلامي التكفيري صنيعة هؤلاء الغزاة. إنها رواية طالعة من هذا الفجر الجنوبي الأصيل الذي توّج في لحظة 25 أيار التاريخية من عام 2000، النصر المرتبط بتاريخ طويل من العزّ والكرامة ونخوة أهله من فرسان وفلاحين وشهداء ومتصوفة... النصرُ الذي انتصرت فيه ياقوتة الدم على السيف.

قصة

علا الجبر... نصّ على مقاس جراحاتنا

رولا حسن

تتميّز القصة القصيرة عن غيرها من باقي الأجناس الأدبية، بأنها في كل مرة تُكتب، تكشف عن شيء جديد، عن علاقة جديدة بالنفس وبالبناء القصصي، فهي تجربة كتابة متجددة في كل مرة، وقد اعتبر غي دو موسابان أنّ «أفضل تعبير عن اللحظات العابرة يكمن في القصة القصيرة». أما القاص السوري المعروف زكريا تامر، فيرجع اختياره للقصة القصيرة «لكونها أداة فنية غنية في التعبير تتحدّى كاتبها وتتيح له المجال لتقديم الدليل على إطالته، وموهبته ومدى إخلاصه لبيئته وإنسانها».

وقد تميزت القصة القصيرة بوضوحها وصراحتها، إذ تكاد تخلو من التملّق الذي قد يذخر به الشعر، ومن الأساطير التي ترتكز عليها المقامات. إذا ولد فن القصة القصيرة من رحم الألم والمعاناة، فكان هدفه عكس صورة الواقع، ومحاولة محاكاة الأحداث الواقعية عبر قالب قصصي للتعبير عن جغرافيا شعورية ومكانية وزمانية، يطرح عبرها أفكاره تجاه ما يحدث.

من هنا يمكن أن ندخل إلى باكورة السورية علا الجبر «طبْع أنا عربي» (دار شيبيلا للنشر والتوزيع ـ سوريا)، عبر أربع عشرة قصة قصيرة، تحاول الجبر رصد العوالم المحيطة بها، وهنا لم تغفل الكاتبة عشر سنوات من الحرب الدامية في سوريا التي أكلت الأخضر واليابس، فكانت هناك حصة لا بأس فيها من القصص: «بالذبح جيناكم»، و«في هذا الباص»، و«علا نظافة» حيث ترصد الحرب الدامية، والنزوح والخوف وفقدان الأمل في النجاة. لم تكن الحرب وحدها خلفية لقصص الجبر، إنما استفادت من تداعيات الحرب على المواطن السوري الذي هدم جدار الخوف، لكن فقد الأمل في حياة أفضل، وباتت حياته عبارة عن طوابير تنتظر ما يمكن أن يأتي. حياة روتينية أكلها وحش الفساد وسيطر عليها انقطاع الكهرباء، وشحّ المياه والغلاء والحاجة كما في قصة «هاتف».

تصوّر الجبر الإنسان السوري في معاناته التي لا تنتهي وقلقه وياسه، وعجزه وضياعه وسط دوامة الحرب وتداعياتها من أمراض المجتمع، كالنفاق، والفساد والمحسوبيات، والتقاليد البائدة كغسل العار، فكل قصة تبدأ من تفصيل صغير تنسج الحكاية، تبدأ من الخاص إلى العام والمعلن، محمّلة سردها المكتنز ما تريد قوله.

لا تتصنع علا الجبر، ولا تزخرف، بل تقول الأشياء كما هي. ولا ترسم عالماً مثالياً. إنه الواقع بكلّ آلامه وأخطائه وجراحاته يطبق بقوة على نفسها، كأنها فضّلته على مقاس جراحاتنا وآلامنا.

منحت الكاتبة مجموعتها عنوان القصة الأولى، واختيار هذا العنوان بالتحديد كعتبة لدخول عوالم المجموعة نقطة تُحسب لها، كونه على علاقة بما يجري الآن في فلسطين سواء أمن قريب أم من بعيد، ومن جهة أخرى للدلالات والإيحاءات التي يمكن أن ترمي بظلالها على المتلقي ما أن يقرأ العنوان، فتشدّ القارئ إلى النص كما تشد شجرة وارفة الناس إلى ظلالها في يوم قيظ شديد. فالقصة عبارة عن حوار بين كاتبة وبطل قصتها الفدائي، الذي اختار بندقيته ليدافع عن أرضه، وقد أدرك تخلّي الجميع عنه، إنه وحده الآن على الأرض وما من أحد. يهاجم أعتى جيوش العالم وحده.

البطل في القصة يواجه الكاتبة التي تبدو كأنها حال الحكومات العربية التي تريد منه أن يترك سلاحه ويوقّع معاهدة السلام أو يطبّع مع الكيان الصهيوني، ولكنه يرفض ويصرّ على بندقيته، تغير له المصائر والدروب، ولكنه يصرّ على بندقيته ويخاطب الكاتبة قائلاً: «اتركي القلم من يدك أنا وحدي صحيح، وسأكتب النهاية وحدي هذه المرة. حمل بندقيته ومضى ليكتب النهاية، ولكنّني مزّقت الورقة» (ص11).

تصوّر الإنسان السوري في معاناته التي لا تنتهي

لا تزخرف ولا تنمق. هكذا يبدو أسلوبها بسيطاً سلساً، كمن يرسم على لوحة وتأتي ضربة الفرشاة لتخلق الفرق. ثمة سرد ناعم تتتابع فيه الأحداث، تتنوع فيه العلاقات بين الراوي والمروي له، وتستخدم فيه تقنيات متعدّدة، لعل أهمها التكرار الذي ظهر في قصة «في هذا الباص»، حيث تتكرر جملة «وجوه ساهمة وعيون نصف مفتوحة تحدّق في اللاشيء»، حوالى ثلاث مرات بهدف التأكيد المعنوي على الحالة النفسية التي وصل إليها الإنسان السوري من تكرار مشاهد القتل التي لم تعد خبراً عاجلاً وإنما خبراً يومياً.

لا تنوّع الجبر كثيراً في استخدامها للضمائر في سردها، فهي غالباً ما تستخدم ضمير الـ «هو»، أو ضمير الشخص الثالث، مع استخدام خجول لضمير الأنا كما في قصة «طبْع أنا عربي» وقصة «على نظافة»، واستخدامها لضمير الشخص الثالث، كان وسيلة ذكية للتواري خلفها كساردة، فتمرر ما تشاء من أفكار وآراء، ما جنّبها السقوط في فخ الأنا الذي قد يجرّ إلى سوء فهم العمل السردي، كما أنه أتاح لها معرفة شخصياتها، وأحداث السرد وكل ما يخص عملية القصّ بشكل عميق، وهذا ما جعل المتلقّي واقعاً تحت اللعبة الفنية التي تشكّل اللغة أداتها والشخصيات ممثّلاً فيها، فيعتقد من لا علم له بالخدعة السردية أنّ ما يحكيه الساردِ في نصه هو ما كان بالفعل.

روت شهرزاد حكاياتها، وفتقت جراحاً بالكاد ضمدناها وروت عجزنا وقلقنا وهشاشتنا وخذلاننا وتركتنا هناك نبحث عن ذواتنا التي قهرها الخوف والعجز والفقر والحروب.

لمحات

رشيد الخديري

يسعى الشاعر والناقد المغربي رشيد الخديري في كتابه «النقد الثقافي: بحث في الجذور والمرجعيات النظرية» (دار خطوط ـ الأردن)، إلى استكشاف متغيّرات النقد في ضوء الرؤى الثقافية والنظريات الحديثة، خصوصاً أنّ النقد الثقافي يُعدّ من أهم الظواهر التي رافقت حقبة ما بعد الحداثة في مجال الأدب والنقد. تأتي أهمية هذه الدراسة من تفاعلها مع تشعّبات النقد العربي، وتسعى إلى إيجاد توازن بين المناهج والمدارس النقدية المتنوعة، بهدف تشكيل رؤيا شاملة ومتكاملة تعكس جوهر النقد العربي وتُبرز خصائصه الفريدة. ويهدف الكتاب إلى تحفيز الحوار المعرفي والنقدي، وتسهيل فهم الأعمال الأدبية وغير الأدبية عبر التركيز على دور النقد الثقافي. والكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة ودراستها في سياقها الاجتماعي والسياسي والتاريخي.

مازن معروف

يلجأ الكاتب والشاعر الفلسطيني مازن معروف في نوفيلا «لعنة صبي كرات الطين» (دار هاشيت أنطوان/نوفل) إلى الخيال العلمي لمحاكاة المأساة الفلسطينية. تجري الأحداث في المستقبل حيث نتعرف إلى آخر أطفال «فلاسطا» الأحياء على وجه الأرض، الذي كان يحلم في أن يصبح روبوتاً متناهي الصغر، ولكن ينتهي به الأمر في صندوق زجاجيّ، يجول على الكيبوتزات الإسرائيليّة. في هذا المستقبل الغريب بات الفلسطينيون يسمّون الفلاسطة. كإجراء إسرائيليّ آخر لطمس تاريخهم ومحوه ثُمّ ترحيلهم من تل أبيب وحيفا وعكّا والجليل إلى الجنوب وطردهم من مستوطنات بئر السبع. تتسارع الأحداث ويقوم الإسرائيليون عام 2037 بإطلاق قذيفة بيولوجية تستطيع مطاردة الفلاسطة أينما وُجدوا. لكن ثمّة طفل وحيد استطاع النجاة، بمناعة هائلة يستمدّها من أجساد الفلسطينيين المقتولين.

عبد الإله بن عرفة

يمضي الأديب والشاعر المغربي عبد الإله ابن عرفة في روايته «لا فتى إلا علي» (دار الآداب) في مشروعه العرفانيّ الفكري والإبداعي إلى القرن الأوّل للهجرة، عبر بناء روائيّ جديدٍ يتناول شخصيّة محوريّة كبرى في التاريخ العربي والإسلامي، وهي شخصية الإمام علي بن أبي طالب. تنطلق الرواية بحدث ولادة عليّ في جوف الكعبة، ثم كفالة الرسول له، وتعلّمه للحكمة النبويّة وتحلّيه بأخلاق الفُتوّة. بعد هجرة المؤمنين إلى المدينة، يتزوّج علي من فاطمة الزهراء ويُرزق منها بالحسن والحسين، ولكن لا يلبث أن يعيش حزناً عظيماً إثر وفاة الرسول وفاطمة من بعده. تتجذّب هذه الرواية الخلافات المذهبيّة والاصطفافات الطائفيّة والسياسيّة، لتُقرّب القارئ من الإمام عليّ كإنسان، وتُجيب عن تساؤلات كثيرة ما فتئ الناس يطرحونها حوله، وعن المكانة الاستثنائية التي نالها في تاريخ الإسلام.

عبد الإله بلقزيز

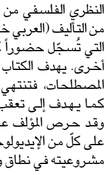

الثقافة، والمعرفة، والإيديولوجيا، ثلاثة مفاهيم شديدة الحضور والاستخدام في ميادين المعرفة والإنسانيات. لكن الحدود بينها قلّما كانت واضحة لدى قسم كبير من مستعمليها. يتناول كتاب المفكر المغربي عبد الإله بلقزيز «الثقافة، المعرفة والإيديولوجيا» (دار الساقي) هذه المفاهيم في تحديدها النظري الفلسفي من جهة، وفي تمظهراتها في الكثير من التأليف (العربي خاصة)، وفي الكثير من الإشكاليات التي تُسجّل حضوراً كثيفاً لتلك المفاهيم فيها من جهة أخرى. يهدف الكتاب إلى تبديد التباسات تحيط بهذه المصطلحات، فتنتهي بمستعمليها إلى الخلط بينها، كما يهدف إلى تعقّب حضورها في الإنتاج الفكري. وقد حرص المؤلف على تجنب إصدار أحكام معيارية على كلّ من الإيديولوجيا والمعرفة لإيمانه بأنّ لكلّ منها مشروعيته في نطاق وظيفته الخاصة.

يوسف المحمود

يُعبّر الباحث السوري يوسف المحمود في كتابه «المعجم الكنعاني» (دار الأهلية للنشر والتوزيع) عن حبّه الجارف للّغة العربية وتعلقه بها إلى حدود الوله. هذا الشغف اللغوي دفعه منذ سنوات طويلة إلى البحث المستمر في كل ما يتصل باللغة العربية، خصوصاً اللهجات القديمة وتطورها وتاريخ الكلمات وجذورها. كذلك قام الكاتب بالبحث والمقارنة بين الكلمات التي يتمُّ استخدامها في اللهجة العربية القرشية العدنانية «الفصحى» مع الكلمات الدارجة واللهجات القديمة والموغلة في القدم التي تحمل أسماء مثل الكنعانية-الفينيقية والآرامية القديمة والأكادية والأوغاريتية والنبطية وحتى المسند واللغات السبئية والسبئية والجعزية وغيرها. ينوّه الكاتب إلى أنّ هذا المعجم جاء بعد رحلة صعبة ووعرة من التنقل والاتصال والبحث والدراسات في هذا المجال.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

ضمن سلسلة «دراسات التحوّل الديمقراطي»، أصدر «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» (الدوحة) كتاباً بعنوان «مقالات مرجعية في دراسات التحوّل الديمقراطي». يتألف الكتاب من 22 مقالة لباحثين بارزين تمّت ترجمتها إلى اللغة العربية. يُغطي الكتاب مدّة زمنية تمتد على نصف قرن من تطور دراسات الانتقال الديمقراطي، ويشمل مثقفين من جيلين مختلفين. الجيل الأول الذي بدأ نشر أعماله في منتصف القرن العشرين أمثال دانكوارت روستو، وفيبرمو أودونيل، وصمويل هنتنغتون، إلى الجيل الثاني الذي نشر أعماله في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات أمثال ريتشارد سنايدر، وتيري لين كارل، ونانسي بيرميو. يتناول الكتاب أهمية دراسة الديمقراطية والانتقال إليها في المنطقة العربية، مع التركيز على التجارب غير العربية.

أدونيس
أبو هريرة، فرويد... وما تبقى

-1-

«قبلي لم يكن علم النّفس موجوداً»، يقول نيتشه، مشيراً إلى أنّه هو أوّل مَن أدخل هذا العلم في كتاباته، لكي يُحسِنَ فهمَ الإنسان والثقافة والحياة.

انطلاقاً من نيتشه واستطراداً، نشير إلى أنّ هذا العلم لم يدخل حتى الآن في الدراسات التي كُتِبَت حول الثقافة العربيّة، وحول الدين، بخاصّة. لم تُدْرَسْ، على سبيل المثال، شخصيّة المسلم العربيّ، بوصفه «ظاهرة نفسيّة». لم تُدرَسْ حتى بوصفه «ظاهرة فكريّة» خاصّة. وسوف يكون عملاً جديداً ومُبدِعاً أن يُقْرأ الشّافعيّ، مثلاً، أو ابن حنبل، استناداً إلى فرويد، وأن يُحَلِّل لاكان «الكافر» شخصيّة أبي هُرَيْرة «المُسلِم» الرّاوية المُحَدِّث، أو شخصية الحجّاج، الحاكم الطّاغية، الذي لم يكُنْ يرى أمامه وحوله إلّا الرؤوس التي «أينَعَتْ وحان قطافُها»!

-2-

نعرف جميعاً أنّ معظمَ البحوث والدّراسات في القضايا الدينيّة والسّياسيّة في العالم الإسلاميّ العربيّ، تمَّ ويتمُّ اعتماداً على ما قالَهُ المُؤَرِّخون والرُّواة، والفقهاء والمُشَرِّعون، وليس على ما قالَه الوَحْيُ نفسُه. لهذا لم تَكُنْ، غالباً إلّا تنويعاتٍ تُفَسِّر أكثر ممّا تتساءل، وتآويل تَسْتأنِف أكثر ممّا تستشرف.

اليوم، صار لِزاماً، معرفيّاً وإنسانيّاً، أن يتغيَّر هذا المَسار: أن ينطلقَ الباحثون من طرح الأسئلة على الأصول ذاتها. ولم يَعُد معقولاً أو مقبولاً أن يقدر «الإبراهيميون» اليهود والمسيحيون، أن يقولوا جذريّاً ما يشاؤون في كتبهم المقدَّسة، التّوراة والأناجيل، قبولاً أو رفضاً، إقراراً أو إنكاراً، ويرفض الأخُ الإبراهيميّ الثالث، وأعني المسلم، أيَّ تساؤلٍ جذريّ حول كتابه المقدَّس ـ فيما يعترف ويؤمن بأنبياء التّوراة، وبالمسيح/ بوصفهم جميعاً أنبياءه هو، وفقاً للوَحْي:

«لا نفرِّقُ بين أحدٍ من رُسلِهِ» (البقرة، 285).

خصوصاً أنَّ نبيَّه «خاتمُ الأنبياء»، وأنّ «وَحْيَه» هو «خاتمةُ» النّبُوّات.

وتلك هي مسؤوليّةٌ ضخمة لا يحقُّ للمسلمين ـ خواتم «الوحدانيّة» ـ أن يتَهَرَّبوا منها.

.3.

ربّما، بسببٍ من هذا، وهو الأرجح، وأعني غياب التَّساؤلات، لا نرى للمؤسَّسة الإسلاميّة العربيّة، أيَّ حضورٍ خلّاقٍ مضيء، على جميع الصُّعُد، وفي مختلف المجالات، سياسيّاً واجتماعيّاً وثقافيّاً. ولا نرى لها أيّ علاقة خلّاقة مع الماضي الذي تزهو به وتستند إليه. فهذه المؤسَّسة تكرّر غالباً ما قاله السَّلَفُ، على نَحوٍ بائس، ومضحِكٍ. وهي، في الواقع ليست إلّا حجاباً. هكذا يُشَوَّهُ حضورُ النّصّ المُقَدَّس: يبدو هنا، «سنّيّاً»، ويبدو هناك «شيعيّاً». ويبدو هنالك «استشراقاً» أو «استغراباً»! وتبعاً لهذا كلّه يبدو كأنّه «نصُّ فئةٍ»، وليس «نصّ أمّة»، وأنّ المسلمين «فِرقٌ» و«مِللٌ» و«نِحَلٌ» و«تبعيّات» من كلّ نوع. ونرى كأنّهم يعيشون ويفكّرون في «عالَم آخرَ»، داخل آلةٍ «جهنَّميّة» تملكهم وتقودهم أنّى شاءت، وكيفما شاءت.

.4.

ينبغي، إذاً، من أجل بناء ثقافةٍ جديدة، وإنسان جديد، أن يسأل المسلِمُ العربيّ نفسَه أسئلةً لم تُطرَح من قبلُ يستضيء بأجوبتها وإن كانت تُخطئ هنا وتتعثّر هناك. ينبغي أن يفكّر ويسأل نفسه:

ما معنى أن تكون النّبوّة الإسلاميّة آخِرَ النّبُوّات؟

ما معنى أن يكون النّبيُّ الإسلاميّ خاتَمَ الأنبياء؟

ما معنى أن يكون أنبياء التّوراة أنبياء للمسلمين أيضاً؟

ما معنى القول: «الإسلام يَجبُّ ما قبله»؟

لماذا تفرَّد الإسلام في وصفه اللهَ الذي يدعو للإيمان به، بأنّه ليس فقط إلهَ المسلمين، وإنّما هو كذلك إلهُ أو «ربُّ العالمين»؟

.5.

تلاؤماً مع هذا كلّه، كيف يمكن أن يكون المسلم العربيّ «تابِعاً» لمن يسمّيهم «كفّاراً»؟ ولمن يصفه بأنّه، دينيّاً، أقلَّ منه كمالاً وإنسانيّة، وأكثر بعداً عن الله؟ خصوصاً أنّه يعيش الآن في «غزّة» تجربة فاصلة وحاسمة، في حياته وفي دينه، وفي ثقافته. ذلك أنّ فيها حروباً كثيرة متداخلة: إسلاميّة ـ إسلامية، عربيّة - عربية، توراتية ـ قرآنية، غربية ـ شرقية، غربيّة ـ غربية، وشرقيّة ـ شرقيّة. حساءٌ «حضاريّ» في قَصْعَة الكون. والخطر الفاجع هنا أن المسلمين العرب يعيشون آفةً يتناسونها:

لا يرون حاضرهم في أيّ صِيَغ خلّاقة، وإنّما يرونه في مرآة ماضٍ انتهى روحيّاً وثقافيّاً، ولكنّه لا يزال ركاماً من الورق ومن «العنعنات» السّرديّة، شبه الخرافيّة، يسدُّ عليهم جميع الآفاق المعرفية، بخاصّةٍ العلمية. وعجزاً عن القيام بأيّ حركةٍ تغيِّر وتجدِّد، يطمئنّون إلى رؤية هذا الحاضر في مرآة الآخر الكافر ـ الذي يتقن فنون استخدامهم واستعبادهم واستلحاقهم.

يعطيهم «سيادةً» ليست إلّا شكلاً من أشكال التّبَعيّة، ويوفِّر لهم «حضوراً» ليس إلّا شكلاً من أشكال الغياب.

* **باريس، 3 نيسان (أبريل) 2024**

Samedi 6 Avril 2024 no106
السبت 6 نيسان 2024 العدد 106

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

هانفع الأمم المتحدة؟

[4 ـ 5]

(هف الويب)

الخوارزميات تلاحق الفلسطينيين

[2 ـ 3]

الدول العربية لا تقوم بواجباتها وفقاً لاتفاقية منع الإبادة

[6]

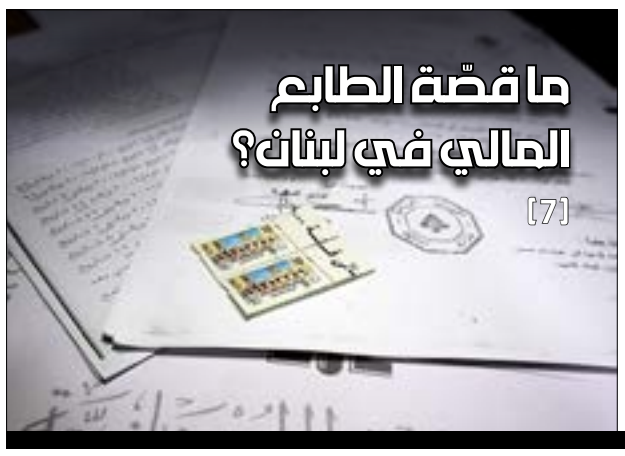

ما قصّة الطابع المالي في لبنان؟

[7]

فلسطين

لم تكتفِ دولة الاحتلال بإمطار سكان قطاع غزة بالصواريخ والقذائف، بل تستخدم، بكل هدوء، برنامجاً موسعاً للتعرف إلى الوجوه. تعمل خوارزميات العدو على التعرف إلى وجوه الفلسطينيين وتحددهم وتلقي بهم في شباك الاستهداف. تتضمن هذه الأداة القاتلة كاميرات في نقاط التفتيش، مرتبطة بقواعد بيانات تحتوي على معلومات الوجه، فيُعتقل أو يُقتل من يتم تحديد أنهم ينتمون إلى حركات المقاومة. الخطير هو أن تكنولوجيا التعرف إلى الوجوه تحمل في طياتها إمكانية حدوث أخطاء جسيمة. فهذه الأنظمة تعتمد خوارزميات معقدة، ويمكن أن تؤدي العوامل الخارجية كالإضاءة الضعيفة أو التشابه الكبير في الملامح إلى نتائج قاتلة

من المراقبة إلى المجزرة: التعرف إلى الوجوه

الخوارزميات تلاحق الفلسطينيين

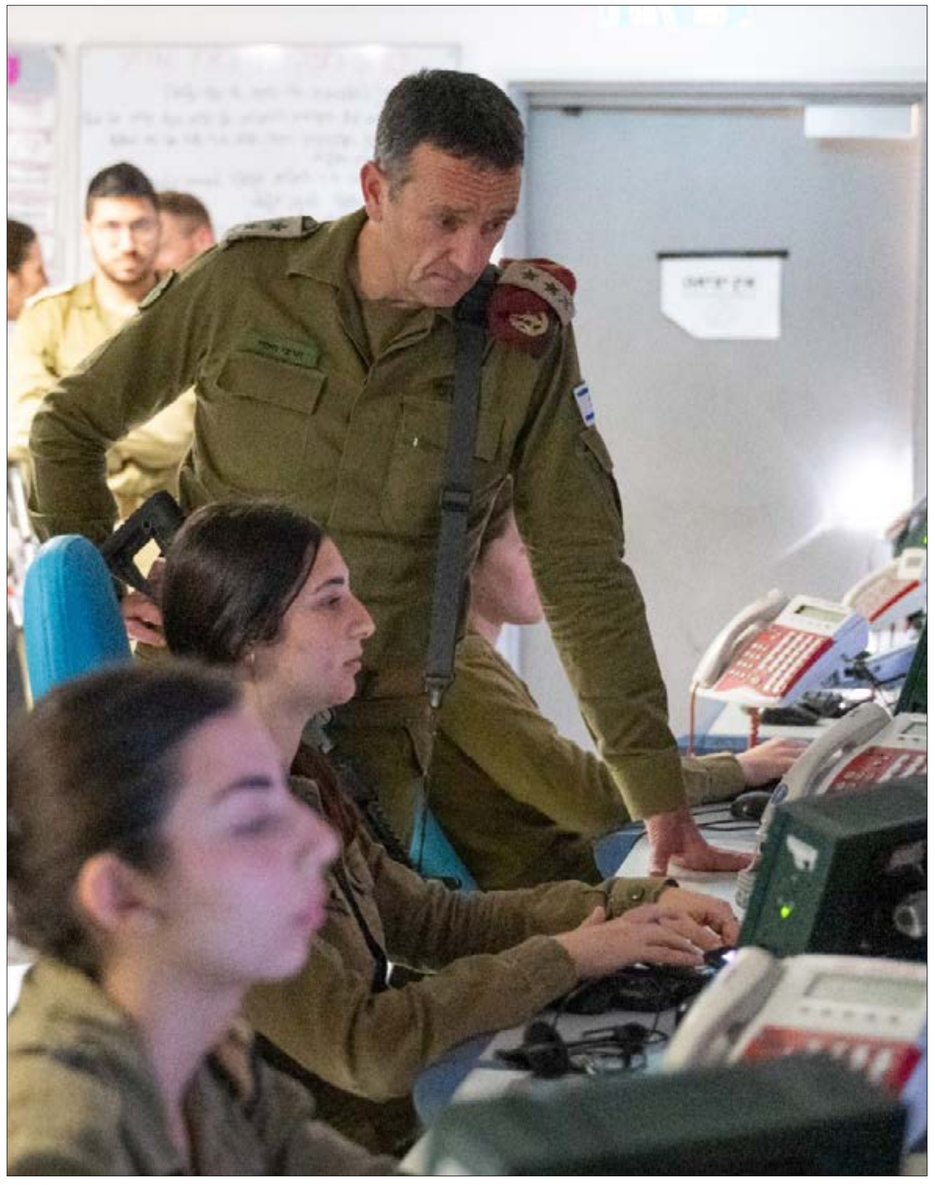

جنان الخطيب

تستخدم «إسرائيل» في قطاع غزة برنامجاً للتعرف إلى الوجوه، وانشئت بعد 7 تشرين الأول/ أكتوبر، قاعدة بيانات للفلسطينيين، من دون علمهم أو موافقتهم، تستخدم تكنولوجيا صمّمتها شركة «كورسايت» (مقرها تل أبيب) لتحديد المنتمين إلى «حماس».

أُنشئ برنامج التعرف إلى الوجوه بالتزامن مع الهجوم البري الإسرائيلي على غزة. وذكر تقرير لـ«نيويورك تايمز» أن الجنود الإسرائيليين الذين يدخلون غزة زوّدوا كاميرات مجهزة بهذه التكنولوجيا، كذلك نُصبت هذه الكاميرات عند نقاط التفتيش في الطرق الرئيسية التي يستخدمها الفلسطينيون فراراً من القصف العنيف. وقال ضابط إسرائيلي للصحيفة إن الهدف هو إنشاء «قائمة اغتيالات» للأشخاص الذين شاركوا في هجوم 7 أكتوبر.

> حدد نظام «كورسايت» عن طريق الخطأ أشخاصاً على أنهم مرتبطون بـ«حماس»

تضليل وتزييف

وفيما تفاخرت «كورسايت» بأن تقنيتها قادرة على تحديد الأشخاص بدقة عالية حتى لو كان أقل من 50% من الوجه مرئياً، غير أن الحقيقة مختلفة تماماً. إذ أكد أحد الضباط أن وحدة الاستخبارات سرعان ما اكتشفت أن تقنية «كورسايت» تواجه صعوبات، خصوصاً في اللقطات المشوشة أو تلك التي حجبت فيها وجوه الأشخاص. فعلى سبيل المثال، عندما حاول جيش الاحتلال التعرف إلى جثث الإسرائيليين الذين قُتلوا في 7 أكتوبر، لم تعمل هذه التكنولوجيا دائماً مع من أصيبوا في وجوههم، إضافة إلى «النتائج الإيجابية الكاذبة»، أي الحالات التي تم فيها التعرف عن طريق الخطأ إلى الأشخاص على أنهم مرتبطون بالمقاومة. مثال على ذلك، التعرف إلى وجه الشاعر الفلسطيني مصعب أبو توهة على أنه مرتبط بحركة حماس بعدما رصدته الكاميرا في نقطة تفتيش عسكرية إسرائيلية أثناء محاولته مغادرة غزة إلى مصر مع عائلته. فقد احتجز جيش العدو أبو توهة الذي تعرض للضرب والاستجواب على مدى يومين قبل إعادته إلى غزة من دون تفسير.

إسرائيل تسرع الإبادة الجماعية

لا يحتاج التعرف إلى الوجوه بالضرورة إلى تقنية معقدة ليكون أداة للكوارث. فكما هو الحال مع أي نظام قائم على الذكاء الاصطناعي، تكون خوارزميات التعرف إلى الوجوه عرضة للانحياز اعتماداً على البيانات التي يتم تدريبها عليها. على سبيل المثال، إذا تم تدريب الخوارزمية على مجموعة بيانات تتكون بشكل أساسي من وجوه من مجموعة معينة، فقد تكون أقل دقة في التعرف إلى وجوه من المجموعات الأخرى. وفي سياق الإبادة الجماعية، يمكن استغلال هذا التحيّز لتحديد هوية خطأ للأقليات المستهدفة.

إلى ذلك، لا تعتمد تقنية التعرف إلى الوجوه فقط على الكاميرات، بل تتطلب أيضاً قواعد بيانات ضخمة تحتوي على وجوه وأسماء مرتبطة بها. ومع تزايد ربط قواعد البيانات المختلفة (مثل السجلات الحكومية وسجلات الهاتف المحمول)، يمكن إنشاء صورة شاملة للمواطنين، ما يسهل استهدافهم، ببساطة، لأنهم فلسطينيون.

أكثر من إبادة

تحديد الهوية الفلسطينية المستهدفة: تستخدم إسرائيل التعرف إلى الوجه لتحديد مجموعات معينة مستهدفة للاضطهاد. وعبر مسح الحشود أو قواعد بيانات الصور، يمكن لسلطات الاحتلال التعرف إلى الأفراد الذين ينتمون إلى هذه المجموعات بسرعة أكبر، ما يسهل اضطهادهم أو إبادتهم.

المراقبة الجماعية: تستغل دولة الاحتلال التكنولوجيا بهدف تنفيذ أنظمة مراقبة جماعية مجهزة بقدرات التعرف إلى الوجوه لمراقبة تحركات السكان الفلسطينيين وأنشطتهم.

الشرطة التمييزية: يمكن لوكالات إنفاذ القانون في دولة الاحتلال استخدام هذه التكنولوجيا بهدف التعرف إلى وجوه الفلسطينيين لاستهدافهم ومضايقتهم واضطهادهم.

الإيجابيات الكاذبة والتعريف الخطأ: خوارزميات التعرف إلى الوجوه ليست معصومة من الخطأ ويمكن أن تعطي نتائج إيجابية كاذبة. في سياق الإبادة الجماعية، يمكن أن تؤدي النتائج الإيجابية الكاذبة إلى اعتقال الأفراد أو احتجازهم أو إعدامهم بشكل غير مشروع بناءً على ارتباطهم «المتصور» بالجماعات المستهدفة.

سلطات الاحتلال تستخدم تكنولوجيا التعرف إلى الوجوه لترسيخ الفصل العنصري

في أيار 2023، قالت منظمة العفو الدولية إن السلطات الإسرائيلية تستخدم نظاماً تجريبياً للتعرف إلى الوجوه يُعرف باسم «الذئب الأحمر»، لتعقّب الفلسطينيين وأتمتة القيود الصارمة المفروضة على حريتهم في الحركة. ووثقت المنظمة كيف أن «الذئب الأحمر» جزء من شبكة مراقبة متنامية تعمل على ترسيخ سيطرة الحكومة الإسرائيلية على الفلسطينيين، وتساعد في الحفاظ على نظام الفصل العنصري الإسرائيلي. ويتم نشر هذا النظام عند نقاط التفتيش العسكرية في مدينة الخليل في الضفة الغربية المحتلة، وهو يقوم بمسح وجوه الفلسطينيين وإضافتهم إلى قواعد بيانات المراقبة الواسعة من دون موافقتهم. كما وثقت المنظمة تزايد استخدام «إسرائيل» للتكنولوجيا في القدس الشرقية المحتلة، ولفتت إلى أن الفصل العنصري الآلي يُظهر كيف أن هذه المراقبة جزء من محاولة متعمدة من قبل السلطات الإسرائيلية لخلق بيئة معادية وقسرية للفلسطينيين، بهدف تقليل وجودهم في المناطق الإستراتيجية. وذكرت أنه إضافة إلى «التهديد المستمر باستخدام القوة البدنية والاعتقال التعسفي، يجب على الفلسطينيين الآن أن يواجهوا خطر تعقبهم بواسطة خوارزمية، أو منعهم من دخول أحيائهم بناءً على معلومات مخزّنة في قواعد بيانات المراقبة العنصرية».

عوامل تؤثر على مصداقية التعرف إلى الوجوه

جودة الصورة:

- الصور ذات الدقة المنخفضة أو المشوشة تجعل من الصعب على النظام تحديد ملامح الوجه بدقة.
- ظروف الإضاءة السيئة، مثل الظلال أو الإضاءة الخلفية القوية، يمكن أن تؤثر أيضاً على دقة التعرف إلى الوجه.
- العوائق، مثل القبعات والنظارات الشمسية والكمامات، يمكن أن تخفي ملامح الوجه الرئيسية المستخدمة في التعريف.

تغيرات الوجه:

- يمكن أن تؤثر التغييرات في المظهر بسبب الشيخوخة وتعبيرات الوجه والمكياج وحتى تسريحات الشعر على دقة التعرف إلى الوجه.
- يمكن للحالات الطبية أو العمليات الجراحية أيضاً أن تغير ملامح الوجه.

مشكلات قاعدة البيانات:

- تعتمد دقة التعرف إلى الوجوه على جودة قاعدة البيانات المستخدمة واكتمالها للمقارنة.
- قاعدة البيانات القديمة أو التي تحتوي على معلومات غير دقيقة يمكن أن تؤدي إلى تحديد هوية خطأ.

> 200 ملي ثانية هي سرعة تكنولوجيا التعرف إلى الوجوه. علماً أن هذه السرعة يمكن أن تختلف وفقاً لعوامل مثل تعقيد النظام وجودة الصورة وحجم قاعدة البيانات.

مسرح المجزرة في مستشفى الشفاء

تتراكم مسارح الجريمة في مجمع الشفاء، بعد انسحاب جيش الاحتلال الإسرائيلي فجر الأول من نيسان، بعد أسبوعين على اقتحامه واحتلاله بشكل كامل، مُخلفاً دماراً واسعاً طال كل المجمع. كما عمد الاحتلال إلى تدمير الأدلة وحرق جميع المباني والأقسام وهدمها.

وبحسب المكتب الإعلامي الحكومي، قتل جيش الاحتلال داخل المجمع وفي محيطه أكثر من 400 مدني، وحاول إخفاء جريمته بإعدام مئات المدنيين والجرحى والمرضى داخل أسوار مجمع الشفاء الطبي عبر تغطية الجثامين بأكوام الرمال وتجريفها ودفنها. وأكد الناطق باسم الدفاع المدني أن قوات الاحتلال أعدمت في المجمع مواطنين مكبّلي الأيدي.

تزداد التحديات المتعلقة بالتحقيق الجنائي العلمي في مسارح الجريمة في مجمع الشفاء، خصوصاً مع تعمّد جيش الاحتلال الإسرائيلي تلويث الأدلة وتدميرها، ما يجعل من الصعب تحديد العينات وجمعها والحفاظ عليها. فأشلاء الشهداء، مختلطة ومتحللة، ما يزيد من صعوبة التعرف إلى هوية الجثامين. كما أنّ الجثامين المحترقة تتطلب تقنيات متطورة لتحديد مصدر الحمض النووي الذي يتم استخراجه من العظام. ويصعّب التدمير الكلي لمسارح الجريمة بالحرق والتجريف إعادة تركيب الجرائم وتحديد تسلسل الأحداث.

قد يتساءل البعض عن أهمية التحقيق الجنائي والجرائم موثقة ومشهودة، وإسرائيل دائماً تفلت من العقاب؟

إن قلب صفحات الإبادة الجماعية بعد 183 يوم من العدوان الإسرائيلي على غزة من دون تحقيق كامل وعلمي ونزيه، يعدّ إهانة للضحايا واستخفافاً بأوجاعهم وتضحياتهم وبمنزلة «تفويض مطلق» لإفلات سلطات الاحتلال من العقاب وتشجيعها على إراقة مزيد من الدماء وقتل الفلسطينيين قصفاً وحرقاً وجوعاً.

أخطاء شائعة

أسطورتان حول التعرف إلى الوجوه

1. كل الوجوه سواسية أمام تقنية التعرف؟ خطأ! لا تستطيع هذه التقنية التعرف إلّا إلى الأشخاص الموجودين مسبقاً على قاعدة بياناتها. إذاً، إن لم يكن وجهك ضمن هذه القائمة، فأنت بمنأى عن المراقبة!

2. التعرف إلى الوجوه: عين لا تخطئ؟ لا تصدق كل ما ترى!

رغم تطورها، إلّا أنّ هذه التقنية عرضة للأخطاء، خاصة مع اختلاف الإضاءة والزاوية، أو حتى تعابير الوجه! كما أنها قد تتعرّف بشكل أفضل إلى وجوه من عرق معين مقارنة بآخر.

فلسطين

لماذا يصدرون قرارات لا تطبّقها «إسرائيل»؟

عمر نشابة

معظم أعضاء مجلس الأمن الدولي وقضاة محكمة العدل الدولية ورؤساء البعثات الدبلوماسية في الجمعية العامة للأمم المتحدة يعلمون أن «إسرائيل» لا ترضخ لقرار وقف إطلاق النار، ولن تتراجع عن إبادة البشر في غزّة. ويبدو إصرار الجيش الإسرائيلي على تصفية أجانب يعملون لمصلحة المطبخ المركزي العالمي واستهدافهم بشكل متكرر، بمثابة تأكيد على استمراره في الإبادة من خلال التجويع، واعتراض كل من يسعى إلى وقفه أو التخفيف من وطأته. لا بل تقوم إسرائيل بما هو أسوأ، حيث إن تزامن تجويع الفلسطينيين مع حلول شهر رمضان المبارك يُعدّ رسالة واضحة إلى المسلمين في كل أنحاء العالم مفادها أن عبيد المال والمصالح المادية (التي يحسبونها أبرز علامات التطوّر والرُّقيّ) لا يمكن أن يهبّوا للدفاع عن شرفهم ودينهم ومسرى رسول الله وأولى القبلتين. بل إنهم قد يستنكرون ويتظاهرون ويصرخون ويبكون... ثم يعودون إلى أولوية حماية مصالحهم المادية.

لدى إسرائيل سجل حافل بتجاوز قرارات الأمم المتحدة والهيئات الدولية، ودعا مسؤولون إسرائيليون بصراحة إلى إبادة الفلسطينيين، وأعلنوا أنهم لن يتوقفوا عن القتل إلا بعد الانتهاء من اقتحام رفح المكتظّة باللاجئين والجرحى والأطفال.

يستغرب محلّلون عدم قيام أعضاء مجلس الأمن الدولي وقضاة محكمة العدل الدولية ورؤساء البعثات الدبلوماسية في الجمعية العامة للأمم المتحدة بأي خطوة جدّية لإجبار إسرائيل على احترام القانون الدولي والقرارات الصادرة عن مجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية. ويستهجن آخرون عدم صدور قرار وقف إطلاق النار تحت الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة وعدم فرض عقوبات على إسرائيل أسوة بالدول الأخرى التي تخرق القرارات الصادرة عن مجلس الأمن.

كما يتساءل البعض عن امتناع المحكمة الجنائية الدولية والمدّعي العام فيها كريم خان عن إصدار مذكّرة توقيف قضائية بحق رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو أو أيّ من المسؤولين الإسرائيليين أسوة برؤساء دول آخرين اتُّهموا بخرق القانون الجنائي الدولي.

قد يعود سبب الاستغراب والتساؤل والاستهجان إلى مفهوم مشوّه وخاطئ لحقيقة مواقف الدول الغربية المسيطرة على النظام العالمي من إسرائيل. فهذه الدول هي في الحقيقة الدول المؤسّسة فعلياً للكيان الإسرائيلي والضامنة لبقائه، وبالتالي عليها أن تحافظ عليه لا أن ترميه وحده في قفص اتهام الهيئات والمحاكم الدولية.

> **إصرار الجيش الإسرائيلي على تصفية أجانب يعملون لمصلحة المطبخ العالمي هو تأكيد على استمرار الإبادة من خلال التجويع**

لكن ماذا حصل أخيراً؟

قرّرت الولايات المتحدة والدول الأوروبية التي كانت قد شجّعت الإسرائيليين على القتل والدمار بحجة الدفاع عن النفس بعد انطلاق عملية طوفان الأقصى البطولية في 7 تشرين الأول 2023، السماح للأمم المتحدة بمطالبتهم بوقف إطلاق النار (بشكل غير ملزم كما ادّعى الأميركيون خلافاً لميثاق الأمم المتحدة).

ما الذي دفع الدول التي اعترضت على قرار وقف إطلاق النار منذ بداية المجازر ومنعت صدوره عبر استخدام الفيتو (استخدمت الولايات المتحدة الفيتو ثلاث مرات ضد قرارات وقف إطلاق النار منذ بداية العدوان) إلى أن تغيّر موقفها؟ ولماذا تعلو أصوات رؤساء غربيين للمطالبة بوقف الحرب، ولو فقط خلال شهر رمضان، وإدخال المساعدات الإنسانية إلى غزّة؟

للإجابة على هذه الأسئلة لا بد بداية من عرض بعض الوقائع الأساسية:

1. اقتراب العدوان الإسرائيلي على غزة من انقضاء الشهر السادس من دون التمكن من الحسم ومن دون تحرير الأسرى الذين تحتجزهم المقاومة؛
2. استشهاد وجرح نحو 100 ألف إنسان معظمهم من الأطفال والنساء والعُجَّز بأسلحة أميركية وكندية وأوروبية؛
3. إنفاق ما يزيد على 80 مليار دولار لتغطية كلفة العدوان ومبالغ إضافية لإيواء المستوطنين الهاربين من غلاف غزة وشمال فلسطين المحتلّة؛
4. انتشار صور آلاف الأطفال القتلى والجرحى والدمار الشامل للمستشفيات والإسعافات والمنشآت المدنية على شبكة الإنترنت وعلى الهواتف الذكية حول العالم؛
5. قتل الجيش الإسرائيلي لأكبر عدد من موظفي الأمم المتحدة منذ تأسيسها؛
6. صدور عشرات التقارير عن مؤسسات تابعة للأمم المتحدة (اليونيسف، منظمة الصحة العالمية، مفوضية حقوق الإنسان، الأونروا وغيرها) التي تدلّ بالإثبات القاطع على جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية وإبادة جماعية ترتكبها إسرائيل في غزة.
7. تعدد التحركات الاحتجاجية ضد الإبادة الجماعية في العواصم والمدن الأميركية والأوروبية وفي كل أنحاء العالم؛

> **احد أهمّ العناصر الأساسية لتكوين مفهوم واضح لبلورة الموقف السياسي الاميركي والاوروبي بشأن الهجوم الإسرائيلي هو عنصر الوقت**

8. توسيع الشرخ داخل المجتمع الإسرائيلي وارتفاع وتيرة الخلافات بين الإسرائيليين أنفسهم وتكرار الصدامات العنيفة بين المستوطنين والجنود في المدن الفلسطينية المحتلة.

أحد أهمّ العناصر الأساسية لتكوين مفهوم واضح لبلورة الموقف السياسي الأميركي والأوروبي بشأن الهجوم الإسرائيلي هو عنصر الوقت. وكانت الخلافات بشأن الجدول الزمني ومدة العملية العسكرية الإسرائيلية في غزة موضوع خلاف إسرائيلي أميركي منذ البداية. ولم يقتنع الأميركيون بكلام نتنياهو في تشرين الأول من العام الماضي بأن العملية العسكرية ستستغرق نحو ستة أشهر. كما أنهم استهجنوا تحديد نتنياهو هدف العملية بالقضاء على حركة المقاومة الإسلامية (حماس) خلال هذه المدة. ولكن رغم هذه الخلافات، قرّر حلفاء إسرائيل منحها الضوء الأخضر للحسم العسكري في غزّة. وظنّ بعض المحللين العسكريين الأشاوس ممن ملأوا شاشات التلفزيون وكتبوا في الصحف والمنشورات وتحدّثوا في المؤتمرات والاجتماعات عن التفوّق العسكري الإسرائيلي والتكنولوجيا العسكرية الأميركية والبريطانية والفرنسية المجنّدة لخدمة آلة القتل والدمار الإسرائيلية، أن حماس ستُهزم وتتراجع. لكن ذلك لم يحصل رغم استدعاء جيوش من المرتزقة الأوروبيين والأميركيين لمساعدة الجيش الإسرائيلي في عدوانه على غزة (نحو 4 آلاف جندي فرنسي يساهمون في إبادة البشر في غزّة). ولا يزال المجاهدون في حركة حماس والجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية يقاومون في غزة وفي شمال القطاع تحديداً حيث أعلن الجيش الإسرائيلي منذ أكثر من شهرين السيطرة عليها بالكامل. المعركة ما زالت قائمة في الميدان حيث يخرج شبان بصواريخهم من بطن الأرض ليفجّروا الدبابات، وعلى شاشات الهواتف والحواسيب في كل العالم يشاهد الجميع إحراق الدبابات الإسرائيلية التي عُدّت يوماً من أكثر العربات العسكرية تطوّراً وقوة في العالم.

لولا صمود المقاومة لكان العدوان الإسرائيلي على غزّة قد مرّ مرور الكرام ولكانت الإبادة الجماعية "على السكت"؛

لولا صمود المقاومة لما تعمّق الشرخ بين الإسرائيليين ليصل الى حد الصدام في ما بينهم؛

لولا صمود المقاومة لما اعترض الغرب على وحشية ارتكابات جيش العدو الإسرائيلي بحق المدنيين والمستشفيات والأطفال والجرحى؛

ولولا صمود المقاومة لستة أشهر في وجه أكثر الجيوش تطوّراً وتدميراً لما صدر قرار لوقف إطلاق النار عن مجلس الأمن الدولي ولا حتى قرار عن محكمة العدل أو عن أي هيئة دولية.

منحت أميركا وأوروبا إسرائيل فرصة للقضاء على غزّة خلال الأشهر الأولى من العدوان ووعدتاها بالحماية من أي تدخل من الأمم المتحدة لوقف الحرب. لكنّ الحرب طالت و«إسرائيل سقطت».

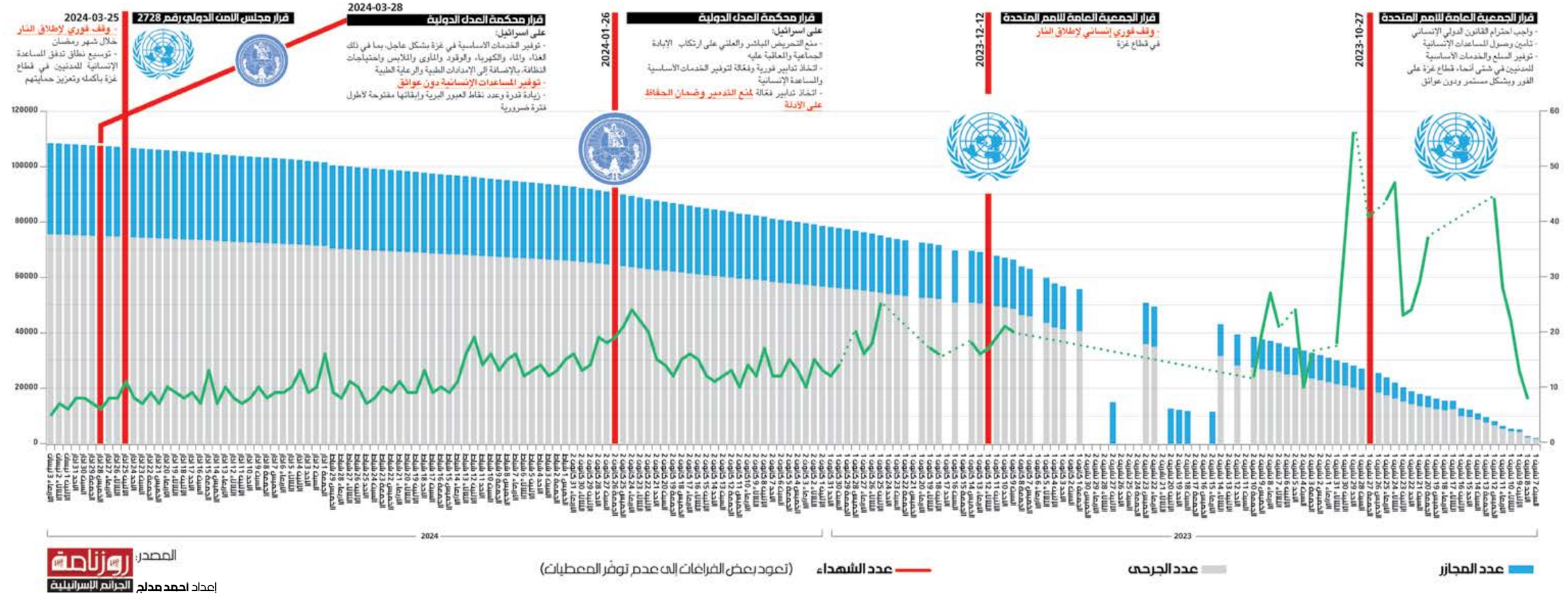

المصدر: رزانة الجرائم الإسرائيلية
إعداد احمد مدلج

القضية المركزية

المختبر الجنائي

الدول العربية لا تقوم بواجباتها وفقاً لاتفاقية منع الإبادة

لونا فرحات

منع الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها هدفان معلنان لاتفاقية منع الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها. ونصت المادة الأولى من الاتفاقية أن على الأطراف المتعاقدة منع أعمال الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها من أجل «تحرير البشرية من هذه الآفة البغيضة». وبذلك، جعلت الاتفاقية منع أعمال الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها إلزامياً وليس اختيارياً. وهذه الواجبات هي الآن أيضاً جزء من القانون الدولي العرفي، وبالتالي فهي ملزمة حتى من دون أي التزام اتفاقي لجميع الدول، بما فيها تلك التي ليست طرفاً فيها. وضمن هذا الإطار العام، تتمتع الدول ببعض السلطة التقديرية في ما يتعلق بالطريقة التي تفي بها بالتزاماتها بمنع الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها، ولم تحدد الاتفاقية ماهية الإجراءات لمنع الإبادة، تاركة للدولة/ للدول حرية اتخاذ الإجراءات التي تراها مناسبة وفقاً لقدرتها الذاتية. فما هو مطلوب وفقاً للاتفاقية اتخاذ سلوك فعلي لمنع الإبادة باستخدام الوسائل المعقولة المتاحة للدولة، من بينها الدعوة إلى وقف إطلاق النار الفوري وغير المشروط، اتخاذ خطوات لرفع الحصار ومنع التهجير، وقف المساعدات العسكرية بما في ذلك مبيعات الأسلحة التي من شأنها تمكين أو تسهيل الإبادة، دعوة الأجهزة الدولية المختصة في الأمم المتحدة إلى اتخاذ خطوات عاجلة لوقف انتهاكات حقوق الإنسان، كقطع العلاقات الدبلوماسية ووقف الاستثمارات الاقتصادية والاتفاقيات التجارية مع الجانب المعتدي. من هنا فإن معيار قدرة الدولة على التأثير على مرتكبي الإبادة ذاتي ويختلف من دولة إلى أخرى. وكما أوضحت محكمة العدل الدولية في حكمها الصادر في قضية البوسنة ضد صربيا (2007) فإن التزام الدول بمنع الإبادة ينشأ منذ اللحظة التي تعلم بها الدولة بوجود خطر جدي بارتكاب الجريمة. وفي ضوء التدابير المؤقتة التي صدرت عن محكمة العدل الدولية في 26 كانون الثاني/يناير، والتدابير الإضافية في 28 آذار /مارس، وبناءً على ما ورد فيها، فإن المحكمة اعترفت باحتمال ارتكاب أعمال إبادة ضد الفلسطينيين في غزة، وأن هناك خطراً حقيقياً متمثلاً في حدوث ضرر لا يمكن إصلاحه ومن ثم فإن مسؤولية الدول في منع الإبادة بدأت منذ اللحظة التي صدرت فيها التدابير المؤقتة ضد إسرائيل.

إن الفشل في اتخاذ إجراءات لمنع إسرائيل أو تقديم المساعدة لها قد يجعل الدولة متواطئة إذا ثبت ارتكاب أي فعل من الأفعال المجرمة بموجب الاتفاقية. وقد عرّفت المحكمة الجنائية الدولية لرواندا التواطؤ بأنه جميع أعمال المساعدة أو التشجيع والتي ساهمت بشكل فعال في إتمام جريمة الإبادة الجماعية أو كان لها تأثير كبير عليها. والتواطؤ لا يتطلب سوى العلم بأن هذا الشخص أو الأشخاص كانوا يرتكبون جريمة الإبادة حتى لو لم تكن لدى المتهم بالتواطؤ نية محددة لتدمير مجموعة بشرية كلياً أو جزئياً. من هنا، على الدول كافة أن تتحمل مسؤوليتها القانونية في التدخل الفوري لحماية الشعب الفلسطيني من الأفعال التي ترتكبها إسرائيل والتي تخطّت العتبة التي يُستند إليها لتقرير وقوع أو عدم وقوع أعمال الإبادة، كما جاء في تقرير مقررة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية الصادر في 25 آذار/ مارس.

وبناءً على ما سبق، يُطرح السؤال التالي: ما هي الإجراءات التي يمكن للدول العربية مجتمعة أو فرادى أن تتخذها لردع إسرائيل ومنعها من ارتكاب أفعال الإبادة؟

إجراءات عربية متاحة تنتظر التنفيذ

في 22 كانون الثاني/ يناير، صدر عن مجلس جامعة الدول العربية على مستوى المندوبين الدائمين في دورته غير العادية التي عقدت في مقر الجامعة بشأن استمرار جرائم العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني، قرار بتشكيل لجنة مؤقتة مفتوحة العضوية من المندوبين الدائمين والأمانة العامة لدراسة إجراءات عربية يمكن القيام بها على المستويات الاقتصادية والقانونية والسياسية والدبلوماسية لتفعيل مضامين هذا القرار، و«إصدار تقريرها وتعميمه على الدول الأعضاء خلال أسبوع من تاريخه». تم تشكيل لجنة المندوبين الدائمين المؤقتة برئاسة المندوب الدائم لدولة الكويت، وعضوية مندوبي 10 دول عربية أخرى والأمانة العامة لجامعة الدول العربية. أنهت اللجنة عملها في أواخر كانون الثاني بإعداد تقرير تضمن 19 إجراء عملياً من الممكن أن تقوم بها الدول العربية على المستوى الوطني أو على المستوى العربي لوقف جريمة الإبادة، مع احترام مبدأ السيادة الوطنية لكل دولة لتتخذ ما تراه مناسباً من إجراءات ضمن الوسائل المتاحة لديها. وتضمّن التقرير قائمة من الإجراءات الاقتصادية والقانونية والسياسية والدبلوماسية المؤثرة التي من شأنها أن توقف العدوان

> **الواجب القانوني يحتّم على الدول العربية اتخاذ موقف موحّد يعفيها اقله او يبعد عنها شبهة التواطؤ او التقاعس**

الصهيوني على الشعب الفلسطيني لو تم تطبيقها من قبل الدول العربية، وهي:

- تجميد أو تعليق أو إلغاء الاتفاقيات الاقتصادية ووقف جميع أنواع التعاملات التجارية والاستثمارية مع الكيان الصهيوني بما يشمل وقف الاستيراد والتصدير ومقاطعة البضائع والمنتجات الإسرائيلية.
- مقاطعة جميع الشركات ومؤسسات الأعمال التي وردت في قاعدة البيانات المحدّثة التي أقرّها مجلس حقوق الإنسان في الأمم المتحدة لشركات ومؤسسات الأعمال الضالعة في أنشطة داخل المستوطنات الواقعة في جميع أنحاء الأراضي الفلسطينية المحتلة.
- وقف دعوة أو استقبال المسؤولين ورجال الأعمال الإسرائيليين.
- النظر في إغلاق المجال الجوي للدول العربية أمام الطيران المدني الإسرائيلي.
- وقف جميع الفعاليات الثقافية والرياضية مع الكيان الإسرائيلي إن وُجدت.
- إعلان المنظمات والجماعات والحركات الإسرائيلية المتطرفة التي تقتحم مسجد الأقصى منظمّات إرهابية ووضعها على قوائم الإرهاب الوطنية العربية واعتماد قائمة على مستوى جامعة الدول العربية توضع عليها تلك المنظمات الإرهابية.
- إعلان قائمة «العار» لتشمل الشخصيات الإسرائيلية التي تبث خطاب الكراهية والتحريض عليها تمهيداً لاتخاذ إجراءات قانونية ضدها.
- رصد جميع الدول والشخصيات والجهات التي تسوّق لتهجير الفلسطينيين تمهيداً لاتخاذ إجراءات قانونية ضدها على المستويين العربي والدولي.
- خفض مستوى التمثيل الدبلوماسي للدول العربية التي تعترف بالكيان إثر صدور التدابير المؤقتة ضد إسرائيل من قبل محكمة العدل الدولية.
- الانضمام إلى دعوى جنوب أفريقيا ضد إسرائيل.
- تقديم إحالات وشكاوى عربية إلى المحكمة الجنائية الدولية وحث المدعي العام على اتخاذ خطوات حقيقية وملموسة بفتح تحقيق حول جرائم الكيان الصهيوني.
- العمل مع منظمة حظر الأسلحة الكيميائية لفتح تحقيق حول استخدام إسرائيل لأسلحة كيميائية محظورة في الأراضي الفلسطينية وجنوب لبنان.
- تشكيل وفود عربية إغاثية لإدخال المساعدات الإنسانية تنفيذاً للتدابير المؤقتة الصادرة عن محكمة العدل الدولية وتنفيذاً لقرار كسر الحصار على قطاع غزة الذي تبنته قمة الرياض المشتركة العربية - الإسلامية في 11 تشرين الثاني/ نوفمبر 2023.
- تشكيل وفد عربي برئاسة الأردن لترتيب زيارة عاجلة لمدينة القدس لتقييم الأوضاع في المسجد الأقصى. بناءً على ذلك، يتضح من الناحية القانونية أن لدى الدول العربية العديد من الخيارات التي يمكن أن تلجأ إليها للتأثير على إسرائيل. ولكن، حتى الآن، لم يُتخذ أي إجراء مؤثر من تلك التي وردت في التقرير. فعلى سبيل المثال، بإمكان الأردن ومصر الانضمام إلى دعوى جنوب أفريقيا، أو أن يقدما طلب إقامة دعوى ضد إسرائيل على أساس انتهاكها للقانون الدولي الإنساني كما فعلت نيكاراغوا في الدعوى المقدمة من قبلها ضد ألمانيا. كذلك بإمكان الأردن، العضو في نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، أن يرفع شكوى مستقلة إلى مكتب المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية أو أن ينضم إلى الشكوى التي تقدمت بها جنوب أفريقيا وبنغلادش وبوليفيا وجزر القمر وجيبوتي. كذلك أمام كل من مصر والأردن خيار قانوني إضافي وهو تعليق اتفاقيات التعاون مع الكيان، ولمصر أن تضغط على الكيان الصهيوني بإلغاء كامب ديفيد أو أقله تعليقها ليس فقط لمنعها من اجتياح رفح ولكن من أجل وقف المجازر التي ترتكبها إسرائيل منذ السابع من تشرين الأول/ أكتوبر، أو أن تسحب سفيرها من تل أبيب كما فعلت عدد من دول أميركا اللاتينية وجنوب أفريقيا. والأمر نفسه ينطبق على الأردن بتعليق اتفاقية وادي عربة واتفاقيات أبراهام بالنسبة إلى البحرين والإمارات. كذلك يمكن للدول العربية الخليجية الضغط على حلفاء الكيان الصهيوني وعلى رأسهم الولايات المتحدة من خلال إعادة النظر في وضع القواعد العسكرية الأميركية على أراضيها وخفض أو إلغاء التعاون العسكري معها.

أما على المستوى الدولي، وتطبيقاً للمادة الثامنة من اتفاقية منع الإبادة التي تنص على أنه «لأي من الأطراف المتعاقدة أن يطلب من أجهزة الأمم المتحدة المختصة أن تتخذ طبقاً لميثاق الأمم المتحدة ما تراه مناسباً من التدابير لمنع وقمع أفعال الإبادة أو أي من أفعال الإبادة المذكورة في المادة الثالثة»، تستطيع الدول العربية التوجه إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة وتخطي مجلس الأمن، بموجب قرار الاتحاد من أجل السلام، لطرح مشروع قرار برفع عضوية فلسطين من مراقب إلى عضو كامل في الأمم المتحدة، والمطالبة في الوقت نفسه بمعاقبة إسرائيل بخفض عضويتها إلى عضو مراقب لانتهاكاتها المتكررة لميثاق الأمم المتحدة ولارتكابها شتى أنواع الجرائم الدولية، والتهديد بطردها من المنظمة ما لم تمتثل للتدابير المؤقتة ولقرار مجلس الأمن 2728 المتعلق بوقف إطلاق النار، عملاً بالمادة السادسة من ميثاق الأمم التي تنص على أنه «إذا أمعن عضو من أعضاء الأمم المتحدة في انتهاك مبادئ الميثاق، جاز للجمعية العامة أن تفصله من الهيئة بناءً على توصية من مجلس الأمن». كذلك التوجه إلى الوكالات الدولية الأخرى التابعة للأمم المتحدة بتعليق عضوية إسرائيل وحرمانها من حق التصويت.

هل من جدوى لتلك الإجراءات؟

تؤكد محكمة العدل الدولية في حكمها الصادر في قضية البوسنة ضد صربيا، أن الدول «تتحمل مسؤولية استخدام جميع الوسائل المتاحة لها بشكل معقول لمنع الإبادة قدر الإمكان». ولا سيما الدول التي لديها القدرة على التأثير بفعالية على الدولة المعنية بارتكاب أعمال الإبادة. وتترتب المسؤولية إذا أخفقت الدولة/ الدول بشكل واضح في اتخاذ جميع التدابير لمنع الإبادة في نطاق سلطتها. ولا يجوز للدول أن تعتمد على افتراض أن أفعالها لن تكون كافية لمنع ارتكاب الإبادة لأنه لا يمكن التنبؤ بذلك في المقام الأول. بل على العكس، إذا تصرفت كل دولة على حدة فإن الجهود المتضافرة لعدة دول قد تحول دون ارتكاب الإبادة أو المزيد من الأعمال التي تدخل ضمن نطاق جريمة الإبادة. لا يمكن لعدوان إسرائيل وارتكابها لفظاعات وجرائم حرب وإبادة أن تمر بدون عقاب ولا يمكن التعامل مع الكيان على أن شيئاً لم يحدث. ما يجري في غزة خلق وضعاً جديداً لا يطرح فقط تحديات قانونية بل تحديات أخلاقية إنسانية. الواجب القانوني يحتّم على الدول العربية اتخاذ موقف موحّد يعفيها أقله أو يبعد عنها شبهة التواطؤ أو التقاعس عن عدم القيام بالتزاماتها القانونية وفقاً لاتفاقية منع الإبادة.

قصور العدل

سين جيم

ما قصّة الطابع المالي في لبنان؟

صادق علوية

الطابع المالي ليس ورقة يتم لصقه على المعاملة وينتهي الأمر. بل هو وسيلة لتسديد الرسم والضرائب التي تفرضها الدولة، وقد تصل قيمة الطوابع على معاملة واحدة إلى مليارات الليرات، وأحياناً لا تتعدّى الـ 20 ألف ليرة.

تسديد رسم المعاملة يعني شراء الطابع ولصقه عليها، أو هكذا كانت تجري الأمور سابقاً. أما اليوم، فعلى صاحب المعاملة أن يبحث عن الطوابع في البومات نادرة.

فجرّب أن تشتري طابع العشرة الآف ليرة في لبنان وشراء طابع إلكتروني من فرنسا. في الحالة الثانية، تدخل على الموقع الإلكتروني وتشتري الطابع بواسطة البطاقة المصرفية، لتصلك رسالة عبر البريد الإلكتروني تحتوي إيصالاً مع رمز باركود وتنتهي المعضلة. أما في لبنان، فلا تسلك الدولة إلا الطرق الأكثر التفافاً. فهناك ربح يتقاضاه بائع الطوابع يدعى الجعالة، وقد تكون هذه أحد أهم أسباب تعطل إمكانية تسديد الطابع إلكترونياً، رغم أن المادة الـ47 من قانون موازنة 2022 نصت على أنه تحفظ حقوق باعة الطوابع الورقية الحاصلين على تراخيص من نسبة من قيمة الجعالة التي يحصل عليها باعة الطوابع الرقمية لمدة خمس سنوات. ورغم أن إمكانية تسديد الرسم بموجب طابع مالي إلكتروني e-stamp وفقاً للطرق والآليات التي تعتمدها وزارة المالية قد ورد نصاً في القانون نفسه، إلا أنّ إقرار الطابع الإلكتروني لا يزال متعذّراً.

ووفقاً لتقرير رسمي رفعته وزارة المالية إلى مجلس الوزراء، فإن الجهات المرخّص لها بيع الطوابع ببلغ عددها 1345، أقل من نصفها رخص غير فاعلة. وبلغ عدد الطوابع المالية المسلّمة إلى المرخصين خلال المدة 2022- 2023 نحو 45 مليون طابع، غير أن أصحاب الرخص لم يلتزموا ببيع الطوابع المالية في محلات البيع وفقاً للرخص، كما لم يلتزموا ببيعها بالسعر الرسمي بحجة أن الجعالة 5% غير عادلة. وإذا كان هذا يصح سابقاً، إلّا أنّ الأمر تغيّر بعد تعديل رسم الطابع على المعاملات بموجب قانون موازنة العام 2024 (القانون 2024/324)، وبعد مضاعفة الرسوم 46 مرة وبالتالي مضاعفة قيمة الجعالة بالنسبة نفسها.

لم يكن موضوع تسديد رسم الطابع إلكترونياً ممكناً سابقاً. إذ إن قانون رسم الطابع المالي (الصادر بالمرسوم الاشتراعي الرقم 67 تاريخ 1967/8/5) لم ينصّ بطريقة مباشرة على كيفية استيفاء الرسم. فقد كان ذلك عبر لصقه فقط («تعطل الطوابع الملصقة على الصكوك والكتابات الخاضعة للرسم بذكر التاريخ (اليوم، الشهر، السنة) وبالتوقيع عليها»)، ولم يأت القانون على تسديد الطابع بوسيلة غير لصقه على المعاملة ما شكّل دائماً حجة واهية، إلى أن تم التعديل القانون أخيراً.

وتشكل عائدات الخزينة العامة من رسم الطابع ما يزيد عن 125 مليون دولار سنوياً كمبلغ مقدر في موازنة عام 2024، ما يوازي مجموع اعتمادات سبع وزارات معاً، هي وزارات السياحة والإعلام والزراعة والعدل والاقتصاد والتجارة والثقافة والعمل، ما يشير إلى أهمية إيلاء جباية هذا الرسم عناية خاصة.

وتعدّ طريقة تسديد الرسم تفصيلاً أمام حقيقة النص القانوني. فكل هدف القانون هو تأكد المراجع المختصة من أن الرسوم قد استوفيت فعلياً.

لذلك تم تعديل طريقة تسديد رسم الطابع المالي لتصبح عبر:

- لصق الطابع
- عبر آلات الوسم
- نقداً في صناديق المالية
- بموجب إشعارات تعتمدها وزارة المالية
- بموجب طابع مالي إلكتروني E-STAMP

وهذا المبدأ ينبغي تعميمه على كل أنواع الطوابع، كطابع صندوق تعاضد القضاة وطابع المختار وغيرهما.

تسديد الرسم بطريقة تختلف عن لصق الطابع ليست جديدة. فالقانون نفسه الصادر عام 1967 (قانون رسم الطابع المالي) عرف الدمغ والتأشير في المادة الـ27 منه، ويُقصد بالدمغ، وضع وسمة خاصة، تحل محل الطوابع، على المطبوعات المعدّة لإنشاء الصكوك والكتابات الخاضعة للرسم بعد تأدية الرسم عنها نقداً في صندوق الخزينة، كما عرف الاستيفاء النقدي إذ يستعاض عن إلصاق الطوابع باستيفاء رسم الطابع المالي نقداً، ودونما حاجة إلى وضع الوسمة أو التأشيرة في حالات محددة.

وعدّلت موازنة عام 2024 المادة الـ61 من القانون، فأجازت للمؤسسات التي تتعاقد معها الدولة والمؤسسات العامة والبلديات واتحادات البلديات استلام المعاملات الرسمية أو إنجازها، على أن تسدّد رسم الطابع المالي على المستندات التي تقدم لديها عبر آلات الوسم المرخص لها باستخدامها. وتستفيد المؤسسات المذكورة من الجعالة المنصوص عليها في المادة الـ24 من هذا المرسوم الاشتراعي. كذلك أجازت تسديد الرسم بواسطة آلات الوسم لدى الأشخاص المرخص لهم باستخدامها، على أن لا تتجاوز قيمة الرسم ثلاثة مليارات ليرة.

ولكن، لا يزال اعتماد الطابع الإلكتروني ممنوعاً على المواطنين لوجود عراقيل لا يمكن قبولها أياً كانت لتعارضها مع مبادئ الشفافية، خصوصاً أن المكتنة هي نقيض الفساد والهدر.

ما هي المعاملات التي يتوجب عليها رسم الطابع المالي؟

يتوجب تسديد رسم الطابع المالي على جميع الصكوك، ويقصد بها الكتابات الموقعة التي تشكل إسناداً لإثبات أعمال قانونية، سواء أكانت هذه الإسنادات رسمية، أم ذات توقيع خاص، دائمة أم مؤقتة، ومن ذلك على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:

1- الاتفاقات والعقود (بيع، إيجار...).
2- التعهدات والكفالات.
3- الإقرارات والتنازلات.
4- براءات الذمة والإيصالات، والمخالصات.
5- صكوك التوصية والهبة.
6- سندات الملكية وصكوك إنشاء الحقوق العينية.
7- الأوراق التجارية على اختلاف أنواعها.
8- الأوراق المالية (الأسهم وسندات الدين).

ما هي عائدات الدولة من رسم الطابع سنوياً؟

قدّرت موازنة 2024 أن تصل عائدات الدولة من رسم الطابع هذا العام إلى 11,253 مليار ليرة (125,7 مليون دولار)، تشكّل 3,65% من مجمل إيرادات الموازنة العامة.

ما هي أنواع رسم الطابع المالي؟

هناك نوعان: المقطوع أو النسبي. في الأول يكون الرسم محدداً ولا يرتبط بالمبلغ الوارد في الصكّ أو المستند، وفي الثاني يكون وفقاً لنسبة مئوية من قيمة المبلغ المذكور في المستند (محددة حالياً بـ 4 بالآلف باستثناء حالات معينة تعتمد فيها نسبة مختلفة).

في المبدأ، تخضع للرسم النسبي كلّ الصكوك والكتابات التي تتناول بصورة صريحة أو ضمنية مبلغاً معيناً أو مبالغ معينة من المال.

عيّنة لعدد من المعاملات وقيمة «رسم الطابع المالي» المقطوع المتوجب عنها، مع الإشارة إلى أن هذه الرسوم ليست الوحيدة على المعاملة، إذ إنّ هناك رسوماً أخرى متوجبة على المعاملة نفسها

المعاملة	قيمة رسم الطابع المالي
رخصة امتياز (بما في ذلك دفاتر الشروط المتعلقة بالامتياز)	46 مليون ليرة
رخصة استثمار أو تعبئة المياه	رسم سنوي مقطوع : 20 مليون ليرة سنوياً اضافة الى رسم سنوي نسبي 10 آلاف ليرة عن كل متر مكعب مستخرج لأغراض صناعية
- رخصة استثمار مقلع او كسارة	2,300,000,000 ل.ل. إضافة إلى 75,000 ل.ل. عن كل متر مكعب أجيز استخراجه من المقلع.
رخصة تاسيس معمل أو مؤسسة صناعية أو تجارية	34,500,000 ل.ل.
خلاصة السجل العدلي	200,000 ل.ل.
صورة إخراج القيد من سجلات القيد (بستوفى لصقاً) وكل وثيقة زواج أو ولادة أو طلاق أو وفاة	400,000 ل.ل.

17 مسعف على طريق القدس

الهيئة الصحية الإسلامية

علي محمود الشيخ علي

ساجد رمزي قاسم

محمد يعقوب إسماعيل

حسين محمد خليل

عباس احمد حجيج

علي حسن سويدان

حسين محمد إبراهيم

كامل فيصل شحادة

حسن حسين حسن

جمعية الرسالة للإسعاف الصحي

حسين احمد جهير

استهداف المراكز الصحية ومركبات الإسعاف

5 مراكز

1- مستشفى ميس الجبل
2- مركز الهيئة الصحية الإسلامية في بليدا
3- النقطة الإسعافية التابعة لجمعية الإسعاف اللبنانية في الهبارية
4- مركز الدفاع المدني للهيئة الصحية الإسلامية في حانين
5- مركز الهيئة الصحية الإسلامية في العديسة

4 مركبات

1- مركبة تابعة لاسعاف جمعية الرسالة الإسلامية في بليدا
2- مركبتين تابعتين لجمعية الرسالة الاسلامية في جنوب لبنان
3- مركبة لجمعية الرسالة الاسلامية
4- مركبة للصليب الاحمر اللبناني في شيحين

جمعية الإسعاف اللبنانية

عبد الله عطوي

محمد الفاروق عطوي

احمد الشعار

محمد حمود

حسين الشعار

براء ابو قيس

عبد الرحمن الشعار

إعداد **أحمد مدلج**

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous alqaous22 al_qaous alqaous 01/34 99 54
www.alqaous.com info@alqaous.com